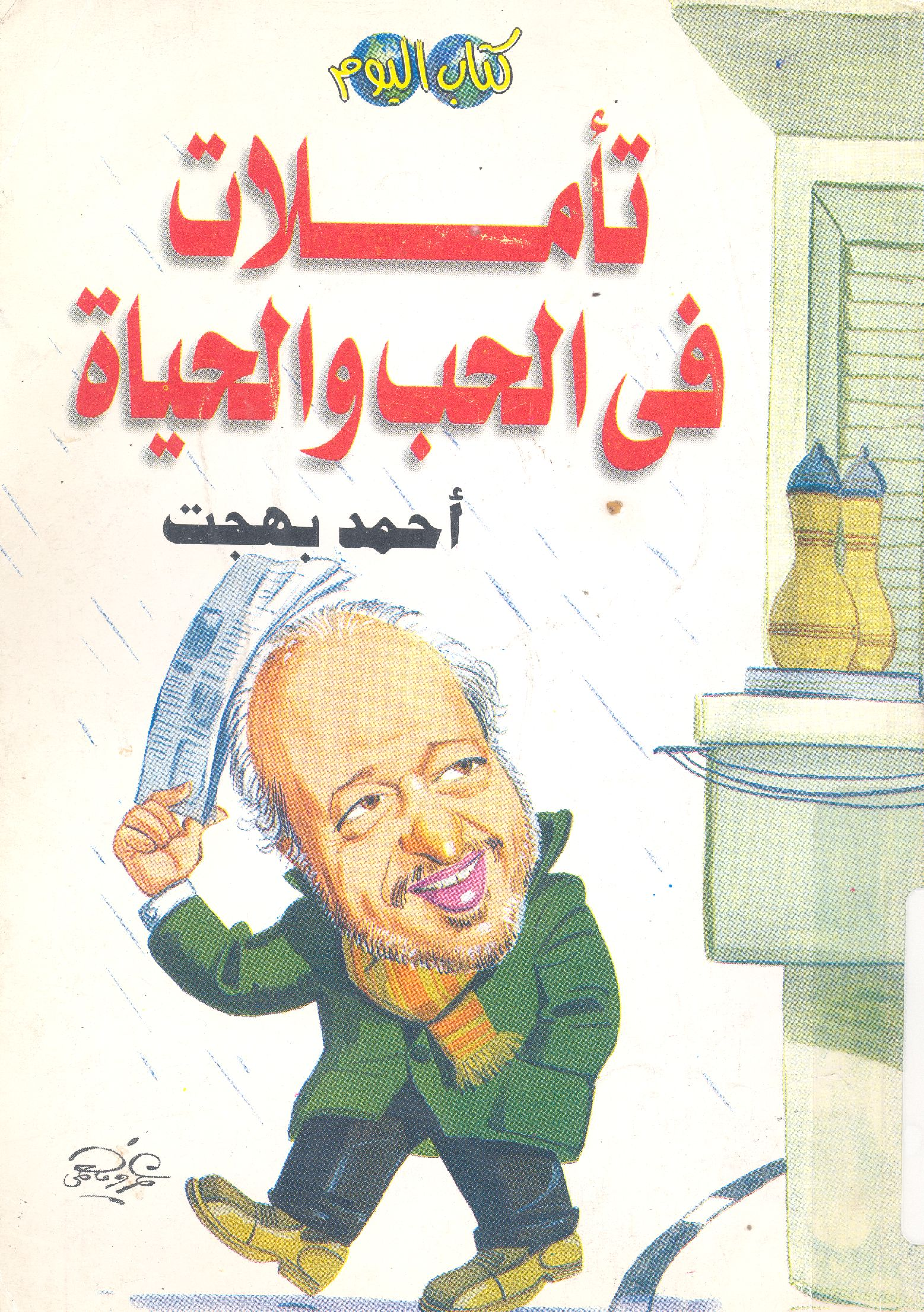
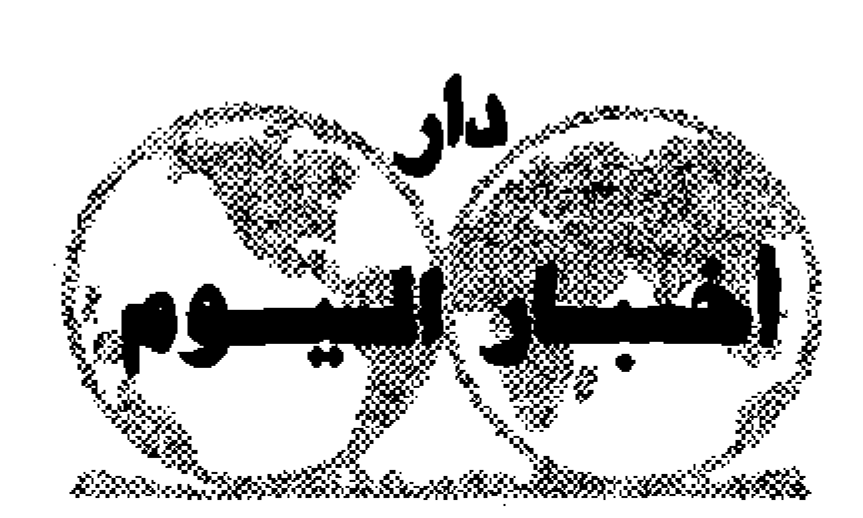


كتاب اليوم
تأملات
فى الحب والحياة
أحمد بهجت

إهـــــــداء ٢٠٠٨

أسرة المرحوم الأستاذ/ محمد إدريس

جمهورية مصر العربية



قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

□ عدد ابريل ١٩٩٩ □

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير :

نبيل أباظة

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٢٠	درهما
لبنان	٤٥٠٠	ليرة
الأردن	٢٠٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٥	دينار
السعودية	١٢	ريالاً
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٢٥	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٢٥٠	دينار
سلطنة عمان	١,٢٥٠	ريال
غزة	٢,٥٠	دولار
ج. اليمنية	١٥٠	ريالاً
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٢	درهماً
قطر	١٢	ريالا
انجلترا	٢	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
المانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلنا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا - أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٦٠ جنيها مصريا

● البريد الجوى ●

دول اتحاد البريد العربى ٢٩ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٤ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٩ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٩ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠

● تلكس محلى : ٢٨٢

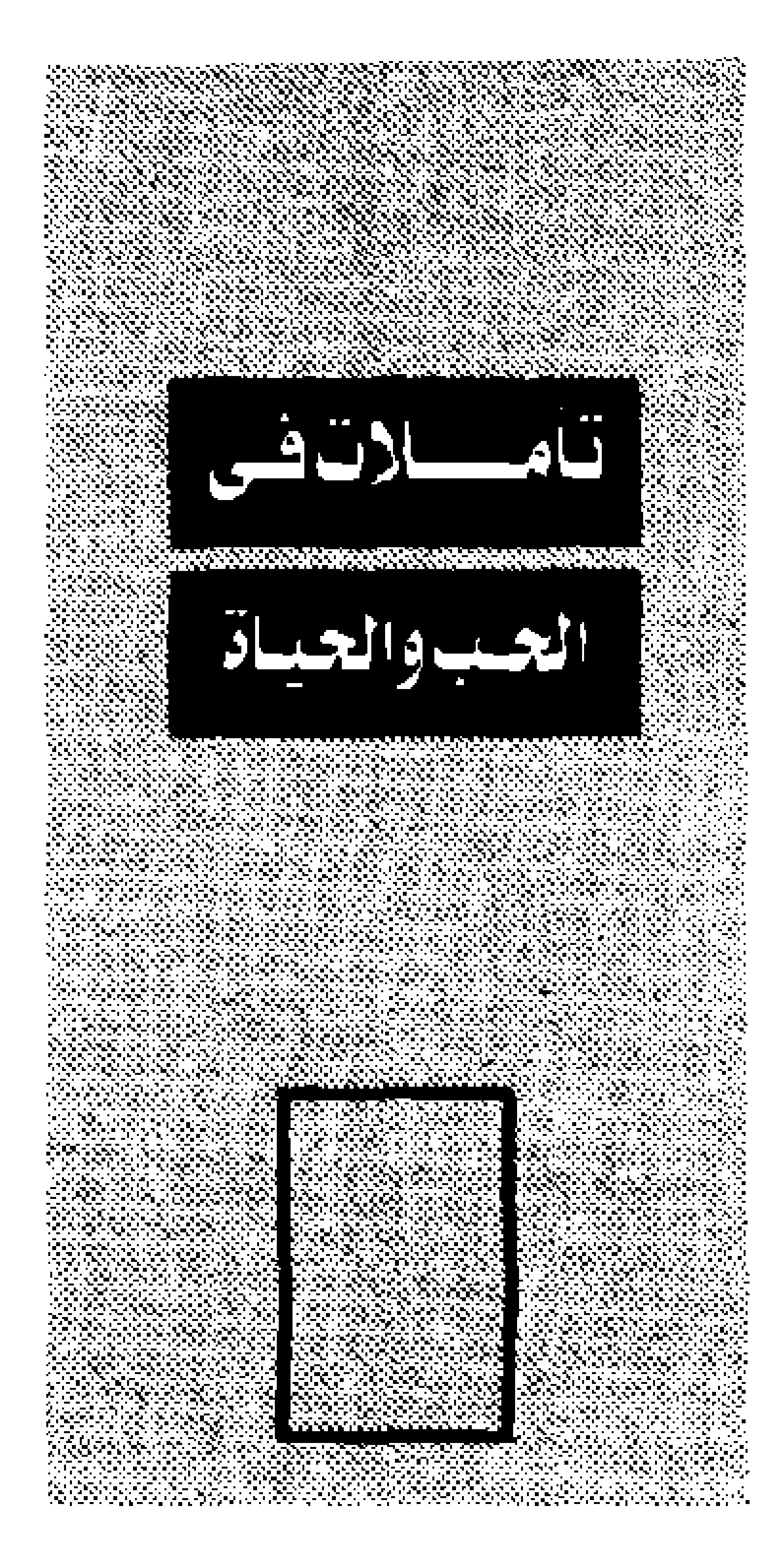
● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة

● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠



تأملات في الحب والحياة

أحمد بهجت



مقدمة

لا أعرف ما الذى سحبنى من «لسانى» وجعلنى أقول :

– أريد أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب.

لم أكن قد اخترت اسم الكتاب بعد ، ولا فكرت أن أكتب له مقدمة ..

وأصعب شىء عندى هو تسمية الأشياء والحكم عليها ، إننى أحب أن ألعب دور المحامى أكثر من دور القاضى ، إن الحكم على الناس مسئولية مرهقة، إلى جوار أنه ظلم فاجع لأن الإنسان لا يعرف حقيقة النوايا ، وبالتالى فإن حكمه مقصور على الوقائع، من

المهام الصعبة على نفسى أيضا كتابة مقدمات للكتب .. فهذه المقدمات تكون عادة إطراء للكتاب ، وهذا الإطراء إذا كان جائزا بين الكاتب والآخرين من زملائه ، فإنه لا يجوز بالنسبة للكاتب ومؤلفاته ..

والمفروض أن يغنى الكتاب بذاته عن أى مقدمة له ، ولقد درج بعض الكتاب على أن يحدثونا فى مقدمة كتبهم عن الجهد الذى بذلوه خلال تدبيج الكتاب وكيف كانوا يكتبون بدمهم وأعصابهم وعصارة عقولهم ..

بالنسبة لى لا أستطيع الزعم أن هذا الكتاب قد كتب مثلا بالدم أو بعصارة العقل ..

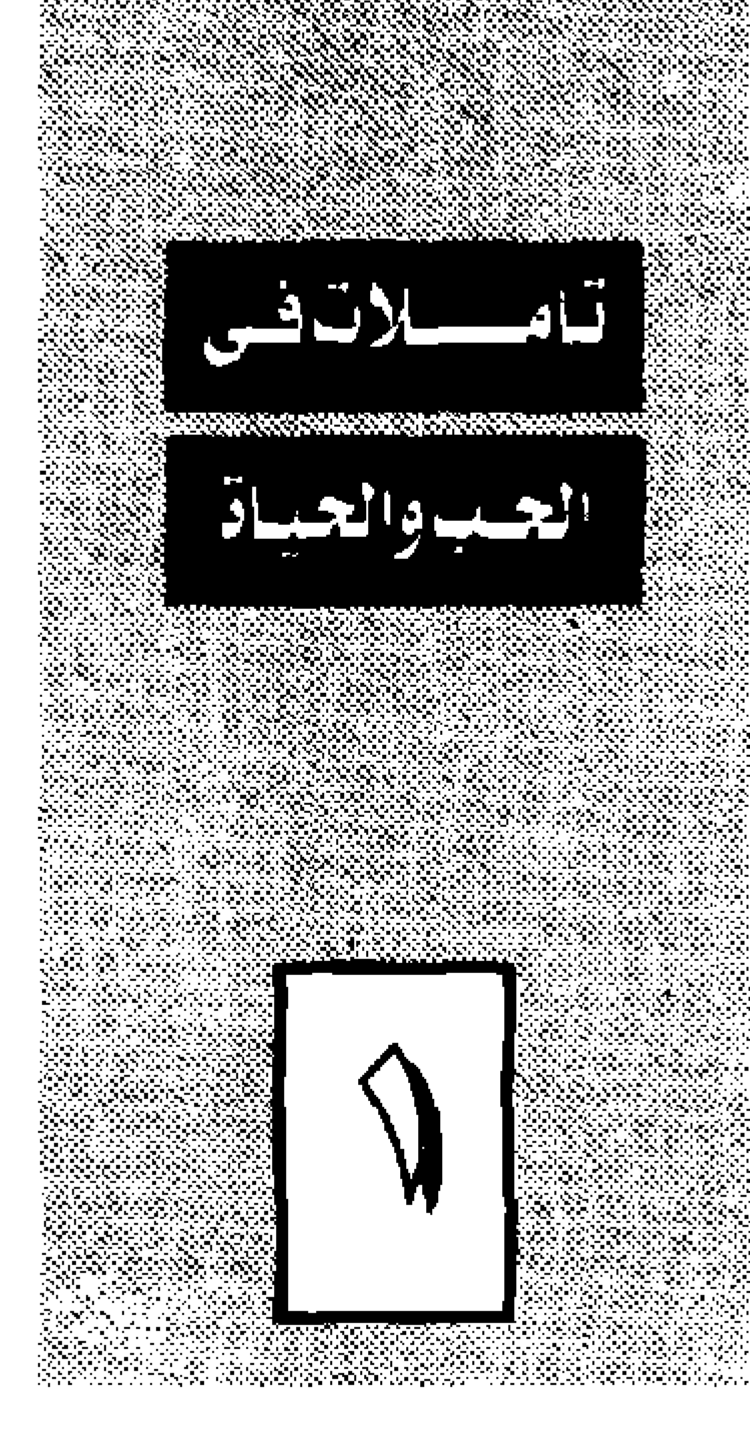
إننى لا أكتب بأعصابى ودمى، وإنما أكتب بقلم من الرصاص لا يزيد ثمنه على جنيه أو جنيهين .. وأحاول حين أكتب أن أتجنب الإنفعال والغضب ..

وربما كنت غاضبا وثائرا من موقف ما ، ولكننى حين أتعرض لهذا الموقف أحاول قدر الطاقة أن أكون محايدا ، وموضوعيا ، وحريصا على معرفة الرأى الآخر وعدم نفى حامله أو اعتباره غير موجود..

والكتاب تأملات فى الحب والحياة وأحيانا فى السياسية ..

وقد آثرت جمعها للقارىء المصرى فى كتاب اليوم .. وهو كتاب له قيمته وله شعبيته معا .

أحمد بهجت



حوار حب .. ولكن

قالت له : لماذا أنت صامت ؟

قال : فى حضرة الجمال العظيم يصمت الإنسان عادة.

قالت : حدثنى عن حبك.. إنك لم تقل لى إنك تحبنى.

قال : مرينى أن أنظم لك عقدا من نجوم السماء فافعل.

قالت : هذه كلمة لروميو فى مسرحية شكسبير.. هى ليست كلامك.. لماذا لا تجرب أن تقول كلاما من عندك.. وللعلم أنا لا أحتاج إلى عقد من نجوم السماء..

إنما أريد عقـدا من الماس يبيعـه الجواهرجى الذى يقع فى الميدان.

قـال لهـا : الماس إذا وضع على رقـبـتك ينخـسف بهـاؤه، ويمـوت اشتـعـاله الداخلى ولا يعـود جـوهرا كريما.. يطغى كرمك على كرمه.

قـالت : أنت تحـاصـرنى بـكلام كـبـيـر.. رحم الله السادات، كان يسمـيه بالكلام المجعلص الذى فى حجم الفيل.. أنا لا أعـرف هل تحبنى حقا.. ولا أعـرف متى تنوى أن تتزوجنى.

قال : لا يراودك الشك إننى أحبك، المسألة كلها إننى احبك بطريقتى الخاصة.

ويبدو أن النســاء لهن أسلوب خاص فى الاحـساس والحياة.. وهو أسلوب يختلف عن أسلوب الرجال.

قالت له : أنت تتراجع وتهرب .. أنت لا تقول كلاما مـحددا أبدا.. هـذه خصلتك مـنذ عرفـتك.. مـتى تنوى الزواج بى..

قال : الحب شىء.. والزواج شىء آخر.

الحب حـالة عقليـة.. أمـا الزواج فوضـع اجـتمـاعى بحت ، ونـظـرا لظـروف الإفـلاس التى أمــر بهـا ،

ومشكلة إننى أبحث عن عمل جديد.. أرانى عاجزا عن الزواج.

قالت : عاجز عن الزواج أم رافض للفكرة.. هناك فرق..

قال : عاجز لا رافض.

ليتنى كنت قادرا.. قولى لى.. من الذى يرفض أن يضمه بيت لطيف مع زوجة رائعة مثلك.

قالت المرأة وهى تشيح بيدها :

- شاهدتك منذ يومين وأنت تتأبط ذراع امرأة وتدخل معها السينما..

قال ضاحكا : هذه شقيقتى.

قالت : لم أكن أعرف أن لك شقيقات.. افهمتنى فى البداية أنك مقطوع من شجرة، وأن شقيقاتك قد توفين إلى رحمة الله فى حرب السويس.. من أين جاءت هذه الشقيقة.

قال الرجل : جاءت من البدرون.. كانت فى المخبأ ساعة الضرب فنجت..

قالت المرأة : لماذا يحدثنى قلبى إنك تكذب فى كل

شىء تقوله.. لقد وصل الكذب معك مرحلة التردد مع أنفاسك.

إنك تكذب بنفس السهولة التى تتنفس بها..

قال الرجل : لا تصدقى قلبك..

سألته : من تريدنى أن اصدق .

قال : صدقينى أنا.. أنظرى فى عينى.. هل هذه المشاعر لرجل كاذب..

قالت : عينك تؤكد إنك تكذب.

قال : كيف استطيع أن اجعلك تصدقين ما أقوله.

قالت : هذا أمر سهل.. تزوجنى لأصدق أنك تحبنى.

قال : إن الدماء تتجمد فى عروقى من مجرد استحضار سيرة الزواج.. لماذا لا تفكرين فى حل آخر بدلا من هذا الحل المستحيل.

قالت : لا يوجد حل آخر.

قال : هو الفراق اذن.

قالت : نعم.. لكنها لم تنهض وظلت جالسة فى مكانها.

كانت تفكر بينها وبين نفسها انه يريد أن يتخلص

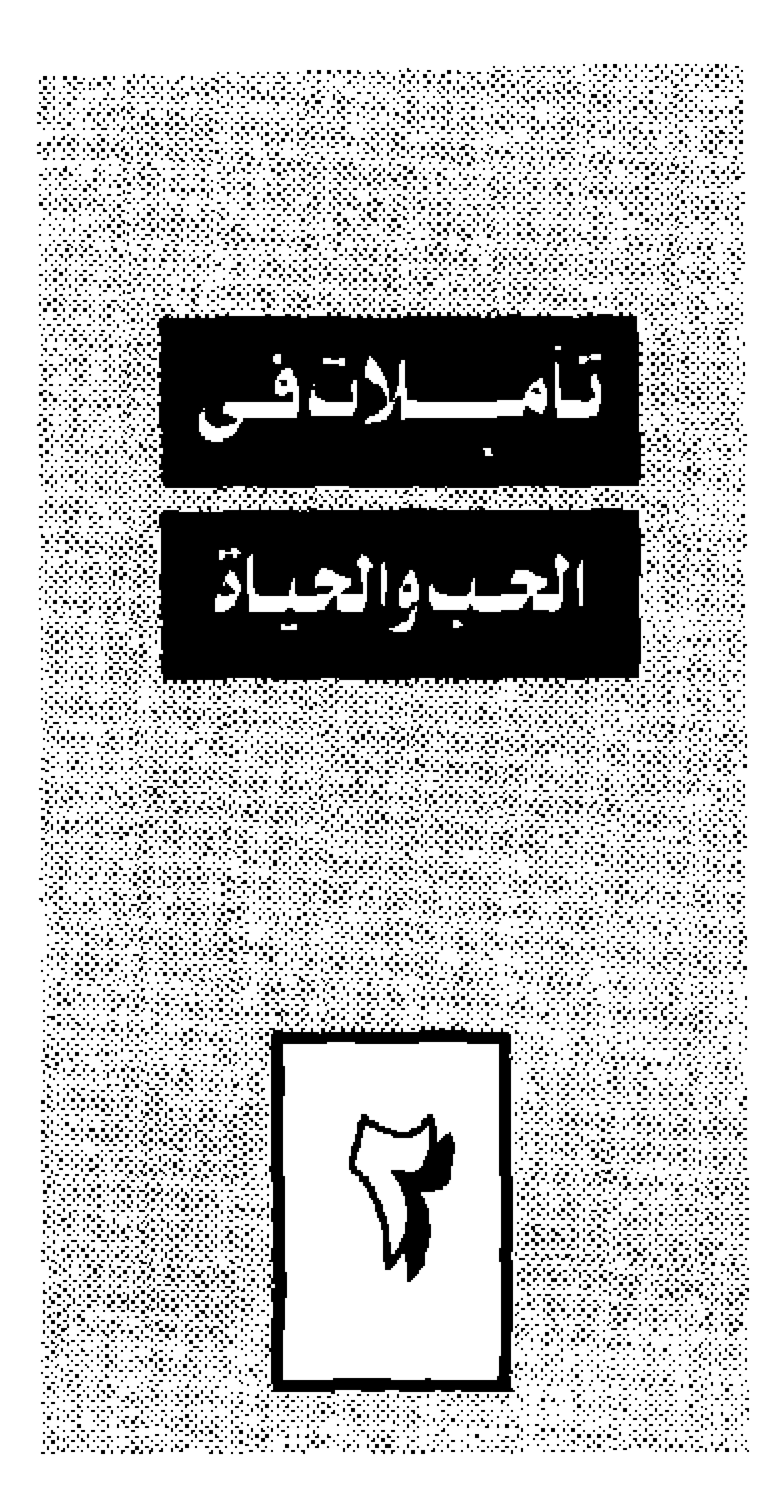
منهـا.. ولقد اعطتـه هى العـذر لكى يفعل ذلك.. قـالت لنفـســهـا : لن أفلتـــه من يدى.. إنه يتـصــور إننى سـأفارقـه.. ولكننى لن أفـعل ذلك.. هى مـعركـة بينى وبينه.. وإذا كنـت قـد هزمت فى هذه الجـولـة فـهناك جـولات قـادمـة، لقـد هزمنى بالنـقط، ولكننى سـوف أهزمه بالضربة القاضية.

أما هو فكان يفكر فى نفسه .

- كـيف تعـرف عليـها.. وكـيف تـحملت خـيـاناته وأكاذيبه وظلت دائما جواره .

وقال الرجـل لنفسه : لقـد كنت قاسـيا مـعهـا، لقد تحـملتنى كـما لم يـتحـملنى أحـد.. لماذا تفكر النســاء كالنســاء.. لماذا لا تفكر النساء كـالرجال.. لماذا يبـحثن عن زوج ويحلمن بتكوين أسرة.. بدلا من الانطلاق فى الحياة والسفر بين الأماكن ولقاء تجارب جديدة.

وفكر أن ينهض ويقوم وينصـرف ولكنه ظل جالسا فى مكانه.



تأملات شتائية

ولدت فى نهاية الخريف وبداية الشتاء.. كان البرد هو أول احساس استقبل به الحياة.. ومن هنا فقد وقعت فى هوى البرد.

والصيف عندى ضيف ثقيل يجثم على أنفاس المرء فلا يتركه يحيا ولا يدعه يموت، إنما هو شىء بين بين.

وفى الصيف لا يرفع المرأ عينيه للسماء إلا نادرا.. فإذا غامر ونظر إلى أعلى ردته الشمس على عقبيه كما يرتد جيش مهزوم أمام كرة ضخمة من النار.

إن ضربة الشمس فى الصيف أحيانا تصيب

السائرين فى الظل، فما بالك بمن يتجاسر ويرفع عينيه ويحدق فى الشمس، إن الشمس تنطبع فى عينيه وحتى لو أغلقهما فسوف يظل يرى الشمس.. وحقيقة الشمس إنها نجم أقرب من بقية النجوم. وهى فى ذاتها سلسلة من الإنفجارات النووية، أى أنها فى حد ذاتها جحيم، ولكنها فى البعد تتحول إلى طاقة تمد الكائنات فى الأرض بالحياة. ولو أن الشمس أزيحت إلى ضعف بعدها الحالى عن الأرض، لتجمدت مياه الأنهار والبحار والمحيطات وغرقت الحياة على كوكبنا فى جليد قاتل، ولو أن الشمس اقتربت من الأرض إلى نصف ما هى عليه الآن فسوف تغلى مياه المحيطات والأنهار وتتبخر الحياة وتنتحر فى جحيم الحرارة الجديد!

كل شىء إذن محسوب ومقدر وفى الصيف نرى طرفا من الجحيم الذى ينتظر الجاحدين.. ومن المعروف أن الإنسان لا يستطيع أن يفكر بشكل سليم وهو فى الجحيم، ولما كان الصيف الخانق اللاهب صورة مصغرة ومخففة من الجحيم، فإننى أجد نفسى فى الصيف عاجزا عن التفكير.

إن الإنسان يعتبر مريضا إذا ارتفعت درجة حرارته

درجة واحدة أو درجتين.. وهو يهرع إلى الطبيب أو يهرع إليه الطبيب إذا ارتفعت درجة حرارته درجتين ونصفا.

لكن حرارة الصيف ترتفع ثلاثين درجة وأحيانا أكثر، ورغم ذلك لا يعالجها إلا طبيب سيحضر بعد ستة أشهر هو الشتاء.

والشتاء والبرد مثل زهرة معطرة.. ومثلما يسبق الزهرة شذاها العطر قبل أن تصل إليك، فكذلك يسبق البرد فصل الشتاء حينما يولد الشتاء.. ومن المدهش أن الشتاء يولد من قلب الصيف، والبرد رفيق الشتاء وهو من أعجب المخلوقات التى تعيش معنا على سطح الأرض.. ويتدثر البرد عادة بعباءة الرياح، ويعلن عن نفسه قبل وصوله شأن الملوك والعظماء، ولا يكاد البرد يوجد فى مكان حتى تحنى الحرارة رأسها وتبدأ فى التراجع والانكماش حتى تتحول إلى ثلج أبيض أخرس.

والبرد ليس ضيفا عاديا تستطيع أن تستقبله بأى ملابس، ولا تستطيع أن تفتح له صدرك العالى.

إن البرد لا يحب رفع الكلفة، وهو مخلوق وقور لا يغفر لك أى عرى أو عبث، وأى محاولة للاستهانة

بالبرد تطرح صـــاحبهـا صريعا فى الفـراش.. ويعاقب البرد من لا يرعـون وقاره عقابا صـــارما ولكنه لطيف، كـأنه يصـدر من أب يؤدب أبناءه، إن البـرد لا يقـتل، ولكنه يجعلك ترتعش وتسخن وتبرد وتعطس وتكح.

والبرد رغم قسوته المبطنة بالحنان لا يعاقب طويلا، إنما هى أيام فى الفراش تحس فيها أنك بمأمن من كل أخطار الطريق ومرعبـات الدهر وحوادثه ، والبرد ملك حـقيـقى يرتعش أمــامــه الملوك والصعـاليك والأغنيـاء والفقــراء والأذكياء والأغبـيـاء.. ولا يقبل الملك الحقـيقى أقل من الولاء المطلق من جميع رعاياه رغم إختلافهم.

والبـرد هو المأذون الذى أدى إلى مــلايين الزيجـات التى وقـعت على سطح المعـمورة، فـإن الأعزب يقـتنع بأهميـة الزواج بعد ليالى الشتـاء التى يقضيهـا وحيدا فى بيته مثل حيوان برى متوحش.

ولولا البرد ما تـكاثرت البشرية بهذه السـرعة، فإن البــرد يدفع الناس إلى التـــلاصق، ومـعظـم النار من مستصغر الشرر.

والبرد هو فـصل الكتاب والشعـراء والفنانين، وعلى حيـن تدخل فيـه الأفاعى والسـحالى بيـاتها الشـتوى وتنام، يستيقظ الشعراء ويعالجون الكلمات والأحاسيس والموسيقى..

والبـرد كله مزايا وفـضــائل، وليس له سوى عـيب واحد أو عيبين.. إنه يحتاج إلى طعام خاص يدخل فيه الزبد واللحم والشـوربة والبـيض والفواكـه.. وهذا كله مرتفع السعر.

أيضا يحتاج البرد إلى فـراش وثير وأغطية صوفية، ولولا هذين العـيبـين لكان البـرد مخلوقـا بلا عيـوب، ولكن الحلو لا يكتمل كما تقول أمثالنا العامية.

٣

الحلم

وقعت هذه القصة لواحد من أقاربى، ولولا أنه حكاها لى ، ولولا إننى أعرف عنه الصدق ما صدقتها..

هى قصة غريبة للغاية، وهى قصة لا تعرف فى نهايتها هل تضحك أم تبكى أم تحدق فى سهوم دون أن تركز فيما أمامك ، القصة بدأت بزواج الدكتور خالد من زميلته فى الكلية التى يقوم بالتدريس فيها.

بعد الزواج لم يثر الزوج ولا أثارت الزوجة قضية وجود شغالة أو خادمة فى المنزل.

قالت : سأنظف البيت بنفسى دون حاجة لشغالة.

استمر هذا الحال عامين، ثم رزق الدكتور خالد وزوجته بابن سموه مصطفى.. وأطلقوا عليه لقب الباشا الصغير.. بعد وجود الباشا الصغير برزت الحاجة إلى وجود شغالة، وبدأ البحث عن شغالة.

كان البحث عنها أصعب من بحث الفيلسوف الأغريقى عن الحقيقة، إن مهنة الخدمة فى البيوت لم تعد مهنة مغرية للمصريين، وأصبح العمل فى كثير من البيوت يتم بالساعة، أما الشغالة التى تظل طوال النهار فى المنزل للخدمة، وتبيت فيه، فقد بلغ أجرها ما يزيد على أجر مدرس بالجامعة.

أخيرا حل د. خالد مشكلة الشغالة عن طريق والد زوجته، فهو رجل له أرض فى الريف، وله علاقات طيبة فيها، ومن ثم فقد اقنع واحدا من المزارعين بأن ابنته ستعمل دادة لحفيده، وسوف تلقى معاملة طيبة للغاية.

وصلت البنت إلى القاهرة ، وكان عمرها لا يزيد على ١٦ سنة وكانت هذه أول مرة تخرج فيها من قريتها، ولقد أصابها حين ركبت السيارة للمرة الأولى

ما يصيب راكب البحر من دوار حين يركب البحر للمرة الأولى..

انبهرت البنت من المدينة بازدحامها وحركتها وأنوارها، ولكنها سرعان ما استطابت حياة المدينة، وظهر هذا فى ملابسها، فقد تعلمت ارتداء الجينز والـ تى شيرت، كما استطابت البيتزا وذهبت إلى الكوافير حيث قصت شعرها كبنات الفرنجة، على أن أكثر ما استهواها كان هو التليفزيون.

كانت تجلس مع الأسرة ساعات طويلة أمام التليفزيون.

ثم صارت تجلس أمام التليفزيون هى والباشا الصغير ساعات أطول حين يخرج الأب والأم لعملهما فى الصباح، وأصبحت تعرف مواعيد البرامج وأوقات التمثيليات ومتى تجىء الإعلانات ومتى يجىء الفيلم العربى والأجنبى.

ومن الغريب أن الإعلانات كانت تستهويها مثلما تستهويها البرامج.. إعلانات عن زيت يحمى من الشمس تدهنه النساء على أجسامهن قبل نزول البحر وحمام الشمس.. إعلانات عن الطعام والملابس

والصابون والمكياج وكل شىء.

بعد عامين من وصول البنت إلى القاهرة للعمل، اختفت البنت ذات يوم.. استيقظ الدكتور خالد فلم يجدها فى البيت.. ايقظ زوجته وبدأ البحث عنها فى البيت كله بلا جدوى.

لقد اختفت البنت مثل فص ملح ذاب فى النهر.

فى البداية، تصورت الزوجة أن البنت قد سرقت بعض النقود أو بعض الحلى الذهبية، فبدأ البحث فى النقود والحلى ولكن كل شىء كان على حاله، لم تسرق البنت شيئا.. إذا كانت لم تسرق شيئا فلماذا طفشت أصلا وهربت من بيت عاملها باللطف والمودة.. استمر البحث عن شىء ضائع واكتشفت الزوجة أن المايوه الذى كان فى دولابها قد اختفى، واستبعدت أن تكون البنت قد سرقته، ورجحت أنها نسيته فى شقتها فى الأسكندرية.

بعد أيام من ابلاغ أهل البنت باختفاء ابنتهم، انكشفت أسرار القصة الكاملة لاختفائها.

اقترضت البنت مايوه مخدومتها واسرعت إلى قريتها حيث لبست المايوه، ودهنت جسدها بزيت

الزيتون ثم قفزت فى ترعة القرية التى تمتلىء بالبلهارسيا والانكلستوما ثم خرجت من الترعة وجلست على شطها فى الشمس..

سئلت : لماذا فعلت ما فعلته.. قالت إنها رأت فى التليفزيون إعلانا عن زيت حمامات الشمس، والتصق الإعلان بخيالها وأحست أنها ستموت كمدا لو لم تجرب هذه السعادة.

سمعت القصة فلم أعرف هل أضحك أم أبكى اشفاقا أم احدق فى سهوم.



رجال .. ونساء

كنا نتحدث عن الرجال والنساء..

قال صديقنا ـ المرأة هى المرأة، والرجل هو الرجل.

لم يعجبنا ما قاله، وسألناه أن يفسر مقولته، قال الرجل محرجا.

– كلامى واضح ولا لبس فيه.

قلنا له : أنت تعمم، والتعميم ظلم للحقيقة.. زدنا تفسيرا من فضلك، إن عبارتك تبدو مثل تحصيل حاصل، وهى عبارة لا معنى لها.

قال : ازيدكم توضيحا.. الرجل نوعان.. نوع هو

الروميـو ويدخل تحت هذا النوع مـجنون ليلى وكثـير عـزة، ونوع آخـر هو الدون جـوان، ويدخل تحت هذا النوع شاعـرنا الماجن عمر بـن أبى ربيعة وأمـثاله من شعراء التشبيب والغزل.

قلنا له : أنت تزيد الأمـر صعوبة، حـدثنا عن الفرق بين روميو، ودون جوان.

قال : أهم صفـة من صفات روميـو، أنه عاشق، أما أهم صفة من صفات دون جوان فهى أنه صياد.

إن رومـيـو ينظر إلى المرأة من خـلال قـصـة حب عنيـفة مـتأجـجة، إن المرأة عنده هى السـهر والشـوق والعذاب.. والمرأة عـنده أقرب ما تكون إلى الحلـم منها للحـقـيـقـة، والمرأة عنده هـى صـورته عن المرأة التى يحبها، وليست حقيقة المرأة.

من هنا تعذب روميو فى عـشقه، وجن جنون قيس من فرط حبه لـليلى، وحين تزوجت ليلى وخرجت من حيـاته انطلق هائما على وجهـه فى الفيافى والقـفار ، وهو لا يعرف ماذا يفعل أو أين يذهب.

لقد فجر الحب مشاعره، ونسفه فى نفس الوقت.

هذا هو روميو أو قيس أو كثير.

كانت المرأة عندهم شيئا يبلغ من الروعة حدا يصل إلى درجة أنه يفسد نظام الإنسان ويحوله إلى شاعر يسير وحده فى صحراء العطش..

أما دون جوان فنوع آخر يختلف عن روميو.

إن المرأة عند روميو هى سر الحياة والوجود والتدله والعشق، أما المرأة عند دون جوان فهى مجرد صيد.

إن دون جوان صياد ماهر، وهو يعشق الصيد فى حد ذاته، ومتعة الصيد عنده هى قمة المتع.

صحيح أن المرأة هى صيده النهائى، ولكنه لا يصطاد هنا حبا فى سواد عيون المرأة، وإنما يصطاد حبا فى سواد عيون الصيد ذاته.. إن التوتر الذى يوفره الصيد، والمخاطرات الكامنة فيه، وجو الاحتشاد المحيط به، هو متعة الدون جوان.

ليست المرأة هى الهدف الأول من حركة الدون جوان مثلما هو الواقع عند روميو.

ليست المرأة عند دون جوان مخلوقا تحيطه هالة من الجمال الملائكى إنما هى صيد ثمين فحسب.

قلنا له : هذا يعنى أن الدون جوان ليس مخلصا ولا محبا فى الحقيقة.

قال صاحبنا : لا يعرف قاموس الدون جوان كلمة الإخلاص أو الوفاء أو الحب.

إن الصياد لا يصطاد مرة واحدة فى حياته، إنما هو بحاجة كل يوم إلى صيد جديد.

ولا وفاء للصيد القديم ولا يبقى منه سوى بعض الذكريات فى النفس.. وهى ذكريات معظمها عن أسلوب الصيد لا الصيد ذاته .

قلنا له : حدثتنا عن الرجال فحدثنا عن النساء.

انفتح صاحبنا فى الحديث فقال :

- المرأة ألوان وأشكال وأجناس، ولقد يخيل إليك أن هناك اختلافا بين الشقراء والسمراء، ولكن هذا مجرد تخيل، حقيقة المرأة وجوهرها واحد.

إنك تقول للمرأة : أنا أحبك..

فتقول لك - تزوجنى.

إنها تقوم بتبسيط علاقة الحب المعقدة المتشابكة الفنية إلى شيء حاد مجوف وبارد ومعروفة مقدماته ونتائجه.. وهو الزواج.. لاحظوا أن الصياد هنا هو المرأة، إن دون جوان كان يتوهم أنه يصطاد، بينما الحقيقة أنه كان هو الفريسة.

أنت تقول للمرأة : أنا مسافر لاكتشاف قارة جديدة، فتقول لك.

– هل تتركنى وحدى.. انتهى الأمر وليذهب اكتشاف القارة إلى الجحيم، المهم أنها لا ترغب فى أن تترك وحدها.

إنك تقول للمرأة : أنا متعب ومنهك ومكدود..

فتقول لك : السبب إننا لم نخرج للفسحة منذ شهر..

هذه هى المرأة.

إنها مركز الكون، وعلى بقية الكواكب الأخرى أن تدور حولها حتى تسقط ميتة من التعب.

لا ترضى المرأة بأقل من الموت حبا.. وفى جميع الصراعات التى وقعت بين الرجال والنساء، كان الرجل يكتشف وهو فى قمة انتصاره أن المرأة هى التى انتصرت، وأنها نجحت فى اقناعه أنه هو المنتصر.

سألناه : ماذا تعنى

قال : أعنى أنه لا داعى للمقاومة.. مادامت النتيجة معروفة سلفا.

قميص رجل سعيد

فى قـديـم الزمـان.. وسـالف العـصـر والأوان.. عاش ملك كان يحكم البلاد بالعدل والحكمة..

وذات يوم.. مرض هذا الملك.. كـان طبيب القصر. أول من وصل إلى الملك.

كشف عليه فلم يجد فـيه علَّة.. وأحس الطبيب بمدى المسـئوليـة الواقـعة عليـه فطلب كـونصلتو من أطبـاء المملكة.

وجاء أطباء المملكة فحاروا فى علته مثلما حار طبيبه الخـاص ، كان الملك سليـما .. ليس به مـرض ظاهر ،

ولا يشكو إلا من الاعياء والضعف والنحول.

وتقرر أن يسافر رسول خاص إلى مملكة بعيدة اشتهر فيها طبيب بشفاء المرضى مهما كانت علتهم غامضة أو خفية.

وسافر الرسول الخاص وعاد بالطبيب الشهير ، وكان أول ما فعله الطبيب هو زيارته للملك.

مكث معه ساعات فحصه فيها فحصا جيدا ثم قال فى نهاية الفحص الملك مريض، وشفاؤه أن يرتدى قميص رجل سعيد.. رجل لا يكدر صفو سعادته شىء.

انطلق الجند فى المملكة يبحثون عن قميص رجل سعيد، كان الأغنياء مهمومين كعادتهم بأموالهم وتنميتها، وبالتالى فإن قمصانهم لم تكن تصلح لشفاء الملك.

أيضا لم يعثر الجند على رجل سعيد لا تكدر سعادته شائبة.

كانت الهموم تطل برأسها فى حياة الناس، وأدرك الجند اليأس من العثور على رجل سعيد، ولكن جنديا توغل فى الغابة حيث عثر على حطاب فقير يعيش فى

كوخ متواضع.

سأله الجندى : هل أنت سعيد.

قال الرجل : نعم.. الحمد لله.

عاد الجندى يسأله : سعيد بلا أحزان.

قال الرجل : نعم.. حمدا لله.

سأله الجندى : ألا يكدر صفو سعادتك شىء.

قال الرجل : نعم.

قال له الجندى : أعطنا قميصك.

قال الرجل : ليس عندى قميص.

هذه القصة التى ترد فى حواديت الأطفال القصد منها والهدف أن يعرف الأطفال أنه لا توجد علاقة بين النقود والسعادة، إن الأغنياء عادة ليسوا سعداء، والرجل الوحيد السعيد فى الحدوتة لم يكن يملك قميصا.. هو اذن رجل فقير للغاية.

اتظن أن الأطفال صدقوا هذه القصة؟.. لا الأطفال صدقوها ولا الكبار.. لا أعرف لماذا تذكرت هذه القصة وأنا اتابع انهيار الأسعار فى بورصات العالم.

لقد تعرضت سوق الأوراق المالية فى هونج كونج

إلى انخفاض كبير فى الأسعار، ولما كانت أسواق المال والبورصات فى العالم تشبه شبكة الشرايين التى توصل الدماء للقلب، فإن أى انهيار فيها أو اختناق فى بقعة منها جدير بأن يؤثر تأثيرا سلبيا على أداء الجسد كله.. وهذا ما وقع.

لم تكد بورصة هونج كونج تبدأ حتى تبعتها بورصة اليابان وكوريا وما لبثت العدوى أن طالت السوق الأمريكية هى الأخرى.

وأوقف التعامل فى البورصات وأغلقت فترة، وتكلم الرئيس الأمريكى ووزير الخزانة، ومدير بورصة نيويورك، وانقلبت الدنيا كلها بين يوم وليلة.. وتحدث رجال الاقتصاد والمال فى الأسباب العقلانية المحتملة، والأسباب النفسية وردود الفعل، وزاد الموضوع غموضا بعد هذه التفسيرات، وكان أعجب هذه التفسيرات أن شهر أكتوبر ويوم الأثنين بالذات عليهما شىء يشبه العفريت، إن الأزمات العنيفة فى أسواق الأوراق المالية حدثت فى شهر أكتوبر، فالكساد العظيم حدث فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٩، ويوم الأثنين الأسود كان فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٨٧، والأزمة التى تعرض لها السوق بدأت أحداثها يوم الأثنين

٢٧ اكتوبر، ومعظم الهزات المالية وقعت فى هذا الشهر، والسؤال المطروح الآن هو التالى :

ما الذى يضمن لنا عدم تكرار ما حدث فى أى يوم من أيام شهر أكتوبر، وما الذى يضمن لنا ألاَّ يتكرر هذا فى أى شهر آخر، وما الذى يضمن لنا ألا ينهار الاقتصاد الغربى نتيجة اللعب فى البورصات كما انهار النظام الاقتصادى الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى السابق.

إن أحدا لا يضمن لنا شيئا.. وسيظل الرعب قائما ما دام شهر أكتوبر موجودا.. كما سيظل البحث عن قميص رجل سعيد مستمرا.



سلطان النوم

يقولون إن النوم سلطان..

بمعنى أن أحدا من البشر أو الخلائق الحيوانية لا يستطيع أن يستعلى على النوم أو يفلت من سلطانه.

وإذا كان الإنسان يحتاج إلى الطعام لكى يعيش، فإنه يحتاج إلى النوم بصورة أكبر من حاجته للطعام.

وقد أجرى العلماء تجارب على الكلاب.. فقسموها قسمين، قسم أطعموه بانتظام وحرموه من النوم، وقسم حرموه من الطعام ولكنهم تركوه ينام ويحصل على كفايته من الراحة.

وقد ماتت الكلاب التى حرمت من النوم أسرع من الكلاب الأخرى.

واستنتج العلماء من هذا إن النوم وثيق الصلة بالحياة ، وأنه مسألة حيوية لا تستغنى عنها المخلوقات.

وقد رصد العلماء تأثير النوم على الجهاز العصبى للإنسان، وعلى الجسد الإنسانى كله بوجه عام.

يقول الدكتور محمود حمودة فى كتابه عن الطب النفسى، وهو الكتاب الذى فاز بجائزة الدولة فى العلوم الطبية، إن الحرمان من النوم لفترات طويلة يؤثر على الانتباه فينقص، ويؤثر على الإدراك فتزداد أخطاؤه، ومع الوقت يبدأ الإنسان فى الهلوسة والتوهان، وتبطؤ حركة الجسم وترتعش اليدان وتزداد الحساسية للألم ويتكاسل القلب والرئتان، ويقل ضغط الدم ومعدل النبض وتتسع الأوعية الدموية الجلدية وترتخى العضلات تماما.. ويبدأ الجسد كله فى الانهيار والسقوط.

والنوم حالة من حالات فقدان الوعى .. وهو حالة تؤدى إلى تجدد الوعى.

وقد لاحظ العلماء أن النوم عبارة عن سلسلة من المراحل المتكررة تبدأ بفترة الدخول فى النوم ، بعدها يبدأ النوع الأول من النوم ، والمعروف باسم « النوم بطىء الموجة » وهذا النوع مقسم إلى أربع مراحل يتدرج عمق النوم خلالها، ويختلف إيقاع موجات الدماغ الكهربائية فى كل مرحلة عن المراحل الأخرى.

لماذا ننام ؟

هناك نظريتان لتفسير ظاهرة النوم.

النظرية الأولى تقول إن النوم عملية سلبية تحدث عند الاجهاد العصبى لآليات الاستيقاظ.

النظرية الثانية أن هناك مراكز نشطة فى المخ ترسل إشارات إلى أجهزة الجسم لتهدئته وتثبيطه فيحدث النوم، وهناك نظريات كيماوية تحاول تفسير ظاهرة النوم.. ورغم هذا كله مازال النوم سرا من أسرار الخالق فى خليقته.

يشبه النوم بحرا إحدى جزره هى الموت، وشاطئه الأخير هو البعث والعالم الآخر.. يرقد الإنسان على ظهره ويطفىء نور العالم الخارجى بإغلاق جفونه،

وحين يغمض الإنسان عينيه فكأنما يقطع تيار الحياة عن عقله..

تهدأ ضربات القلب ويتسلل إلى العقل شيء غامض.. بعد ساعة من النوم تبدأ المياه الغريقة.. مثل تنفس البحر يتنفس الإنسان، تنساب فى الأفق القريب أشرعة الأحلام البيضاء ، تزداد توغلا فى البحر، تدخل المياه الداكنة، يهدأ الهياج الجامح للموج ويتحول الماء إلى زيت.. هذه مياه النوم العميقة، لا أحلام هنا، وهنا لا يصل للقاع أحد.

نحن أمام تجربة كاملة من تجارب الموت.

تقدم إلينا رحمة الله بروفات للموت كل ليلة.. أو بروفة جنرال كما يقول أهل المسرح.

أرأيت أحدا من الناس يكره النوم، ألم تر كيف يعلن الناس عن احتفالهم بالنوم بالتثاؤب.. لماذا يكره الناس الموت ويتصورونه نهاية، بينما هو مرحلة من مراحل الطريق يجيء بعدها اليوم الآخر ، يموت الإنسان إذا نام، ثم يبعثه الله إذا جاء أوان يقظته ، كيف ينكر الإنسان بعث الموتى وهو يموت كل ليلة ويبعثه الله كل صباح.. تأمل قوله تعالى : **﴿ هو الذى يتوفاكم**

بالليل، ويعلم مـا جرحتم بالنهـار، ثم يبعثكم فـيه ليقضى أجل مسمى، ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ .

كل شـىء مـقدر ومـحـســوب ومســجل.. ولا شـىء يضيع.. لا اليقظة ولا سلطان النوم.



هواية مرعبة

إذا تأملت حياة الأمريكى الموفق من رجال الأعمال، أو المليونير كما نقول نحن بتعبير عصرنا، لوجدت أنه قد ولد فى الريف فمضى يجاهد ويشتغل حتى يتمكن من العيش فى المدينة.. فلما صار فيها ظل يجاهد ويشتغل حتى يستطيع أن يعود إلى سكنى الريف مرة أخرى.

وما ينطبق على حياة المليونيرات فى أمريكا ينطبق على حياة المليونيرات فى مصر الآن.

كانت الطبقة البورجوازية فى مصر منذ ما يقرب

من نصف قرن، تعيش طوال أيام السنة فى المدينة، فإذا جاءت شهور الصيف نزحت إلى الأسكندرية أو رأس البر أو أى ميناء على البحر.

كانت الأسكندرية هى الميناء الأول..

وكانت تكتظ فى الصيف بالمهاجرين إليها من العاصمة، وهم الذين جاءوا هربا من الحر والقيظ، وأملا فى نسيم البحر والسباحة.. وكانت الطبقة البورجوازية تستأجر من سكان الأسكندرية الأصليين بيوتهم فى فترة الصيف، وهى فترة تبدأ من شهرين إلى ثلاثة أشهر.

ثم جاء الانفتاح وزيادة السكان وولع الطبقة الوسطى بتقليد الطبقة العليا.

وبدأ الامتداد العمرانى يتجه إلى العجمى.

وكانت العجمى قرية ريفية تحتلها حقولُ التين، ويضع يده على أرضها بعض العرب من البدو، وكان هؤلاء يعيشون على بيع هذا التين المشهور بحلاوته.

ثم فوجئوا أن الأرضْ قد صارت مطلوبة للبناء، وبعد أن كان الفدان (وهو ٤ آلاف متر) يباع بمائة جنيه ، صار المتر وحده يباع بمائة جنيه.. ثم ألف ثم خمسة آلاف.

وبدأ الأثرياء الجدد الذين صنعهم الانفتاح وصنعتهم المغامرات فى السوق ، بدأوا يتجهون إلى العجمى للبناء .

وهكذا دار كل واحد منهم دورته.. ولد فى الريف، ونزح إلى المدينة، ثم صار كل همه أن يعود إلى الريف.

وبدأت هواية الفيلات فى مصر.

بدأ الناس يشترون الأرض فى العجمى ويبنون عليها الفيلات بشكل عشوائى وكيفما اتفق.

كان الناموس والذباب يحتلان المنطقة قبل أن تتحول إلى مصيف وبدأ الأثرياء الجدد فى الشكوى من طفح المجارى والناموس.

وأصبحت الحاجة ملحة للانتقال.

وتم هذا الانتقال على امتداد الساحل الشمالى فبنيت مدن على البحر مثل مراقيا وماربيلا ومارينا إلى آخر السلسلة.

وتراوح ثمن الفيلا الواحدة بين المليون والأربعة ملايين، وراح مليونيرات مصر يقلدون مليونيرات الغرب فى ديكور الفيلا، وحمامات السباحة التى ينشئونها لكل فيلا.

وانفق على هذا المشروع ما يقرب من الف مليون جنيه.

اهدرت هذه النقود كلها من أجل استخدامها شهرا واحدا كل صيف.

وكتب الاقتصاديون عن هذه الثروة المصرية التى تحولت إلى الأسمنت والزجاج والألومنيوم وصارت طوال السنين بيوتا للأشباح لا يعمرها أحد.

لكن.. ماذا نفعل.. إن معظم مليونيرات مصر جاءوا من الريف، واستقروا فى المدن الكبرى، ثم عادوا إلى ريف جديد على شاطئ البحر، فعلوا هذا تقليدا لغيرهم ممن سبقهم إلى البناء فى هذه المناطق..

هى حركة بلا معنى.. حركة لم تحل أزمة الإسكان ولا استطاعت أن تلبى رغبة الشباب فى السكن.

بعد الساحل الشمالى بدأ الامتداد نحو الفيوم ونحو صحراء مصر.

دعتنى قريبة لى للذهاب إلى الفيوم وقضاء يوم فيها، وراحت تحدثنى عن الفيلات التى أنشئت حول بحيرة قارون، وكيف أنها جميلة كالجنة أو مثل حلم فى الجنة.

وذهبت معها، واستغرق الطريق ساعتين تقريبا حتى وصلت إلى المنطقة.. وهناك اكتشفت الفخ.

إنهم جاءوا بى أملا فى أن اشترى فيلا تطل على البحيرة.. سألت عن الثمن فقالت لى ـ الفيلا الصغيرة بثلاثة ارباع المليون جنيه، والكبيرة بمليون وربع مليون.

وفكرت بينى وبين نفسى أن قريبتى هذه مجنونة لأنها تتصور أن معى مثل هذا المبلغ.. وراحوا يغروننى بالشراء ويقولون لى هذه فيلا فلان وهو صديقك وهذه فيلا صديق آخر لك.

وقلت لهم حسما للنزاع ـ مادام أصدقائى عندهم فيلات، فكأننى مالك لكل هذه الفيلات، وبالتالى فلا معنى مطلقا لشراء فيلا جديدة.

وعدت وأنا أفكر أن حمى الفيلات قد بدأت فى مصر، ولكن أحدا لا يعرف كيف تنتهى هذه الهواية المرعبة.



البحث عن الشيطان !

فى أدبيات اليونان، يحكى أن الفيلسوف الحكيم ديوجنيس خرج ذات يوم فى الظهيرة.. والشمس ساطعة.. وفى يده مصباح يفتش به عن شىء.. سئل: عم تبحث ؟

قال : أبحث عن إنسان فاضل !

●●●

هذه القصة علق عليها المفكر السويسرى الأصل دنيس دى روجمون فقال :

– لا يدهشنى أن ديوجنيس لم يعثر على الإنسان

رغم معونة ضوء الشمس ونور المصباح، لأن خير طريق تلاقى فيه الإنسان الحقيقى هو أن تكونه أنت بنفسك.

هذه العبارة تلخص لنا فلسفة المفكر الأوربى خير تفسير.

إنه يرى أن سبب الفساد فى حضارتنا الحديثة إننا حورنا الدين فاحتفظنا بإيماننا بالله، رفضنا الاعتراف بوجود الشيطان.

وقد فعلنا ذلك لنتخلص من مسئولية مكافحة الشيطان داخل نفوسنا وخارج نفوسنا.. فنحن نفسر ما نرتكبه من شرور وخطايا، ونفسر كل ما فى الحياة من فساد تفسيرا عقليا أو تفسيرا علميا.

إن العالم الأخلاقى يحدثك أن الشر مسألة نسبية، فما يعتبر شرا فى مكان ما أو زمان ما أو ظروف ما ليس شرا فى مكان أو زمان أو ظروف أخرى.

والعالم النفسى يحدثك أن الخطيئة حالة جنون مؤقت، أو هى نابعة من اضطراب فى الغدد، أو سببها المركبات الكثيرة التى اكتشفها علم النفس فى اللاوعى كمركب أوديب ومركب اليكترا ومركب النقص..

ويخلص علماء النفس من مقولتهم هذه إلى أننا لسنا أشرارا نستحق العقاب بل مرضى نحتاج إلى علاج.

أما العالم الاجتماعى فيقول لك إن الجريمة هى ابنة المجتمع المادى والعوامل الاجتماعية الفاسدة التى تدفع الفرد دفعا إلى الانحراف والسقوط.. وهذا يعنى كله إننا لسنا أشرارا.

إما لأن الشر لا وجود له، وإما لأننا مسيرون نحوه بقوة الإجبار أيا كانت هذه القوة.. جبرا ماديا أو نفسيا أو اجتماعيا أو الهيا كما ترى بعض المذاهب البروتستانتية.

ويرى دنيس دى روجمون أن من مظاهر رفضنا الاعتراف بوجود الشيطان أن بعضنا مازال يتمسك بهذه الصورة المخيفة التى رسمها الرهبان فى الماضى للشيطان.. لإرهاب الناس وتخويفهم من الرذيلة.. وهى صورة مضحكة وسخيفة فى نفس الوقت.

وفى الأوربيين المؤمنين من يتصور أن الشيطان كان مسخا ذا قرنين أحمرين وذيل طويل.

ومن الناس من يحكم العقل أو المنهج العلمى فيقول

إن الشيطان لا وجود له، وإنما الموجـود هو الشر.. أما الشيطان فهو فكرة رمزية.

ويرفض روجـمون هذه المقـولة، لأن الكتب المقدسـة تحدثنا عن الشـيطان أكثر مما تحـدثنا عن الشر، وهو يرى أن كون الشـيطان فكرة رمزية هـو دليل وجوده الحقيقى، لأن الحقائق العليا لا يعبر عنها إلا بالرمز.

ويرى المفكـر الأوربى أن أهم صـفـة من صـفـات الشيطان هى الاستخفاء، والله يتجلى فى الخليقة، ولكن الشيطان يستخفى فيها.

قال الشاعر الفرنسى بودليـر فى قصيدة من شعره المنثور.

- إن أمكر حيل الشيطان أنـه يقنعنا بعدم وجوده.. وهذا أصـدق قـول وجـده روجـمـون فى تصـوير الشيطان، وهذه أول ألاعيبه فى الاستخفاء.

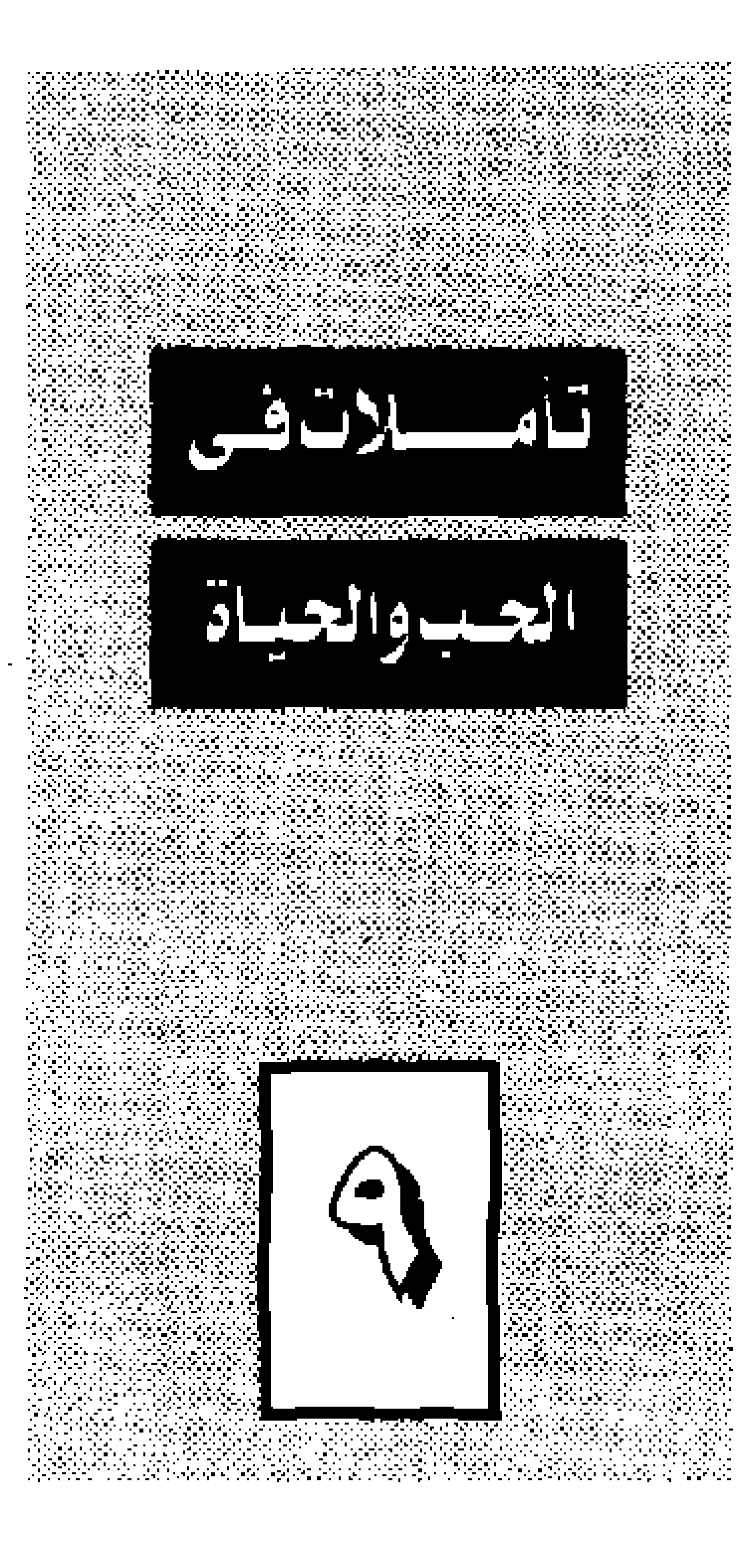
فـإذا اقتنـعنا بعدم وجـوده توقـفنا عن البـحث عنه لمنازلته.. وهكذا يكسب الشيطان الجولة الأولى.

وتختلف أساليب الشيطان فى الاستخفاء.

نحن نبحث عنـه حيثـما وجدت الخطيـئة أو الرذيلة أو الجريمة، ولا يخطر على بالنا قط أن نبحث عنه فى

فضائلنا، واستخفاء الشيطان فى الرذيلة غباوة منه، وهو ليس غبيا، وإنما هو ماكر وذكى ويعرف كيف يختبىء، ولهذا يستخفى حيث لا يعقل أن نبحث عنه. أى يستخفى فى الفضيلة.. فما الرذيلة عند روجمون إلا فضيلة منحرفة.

وإذا كان الله لم يخلق الرذيلة، بل لم يخلق إلا الفضيلة، استنتج العقل إن الشيطان هو خالق الرذيلة.. وهذا ما ينكره دنيس دى روجمون، فعنده أن الشيطان لا يستطيع أن يخلق شيئا، وكل ما يستطيعه أن يلوى ما هو مستقيم، وأن يمسخ ما هو موجود وما أحسن الله صنعه.. إن رذائلنا ليست فى حقيقتها من خلق الشيطان، إنما هى من صنعنا نحن.. إنها مجرد فضائل منحرفة.



تجارة لا جنون

قديما كنا نسخر فى مصر من القروى الذى اشترى الترام من راكب يجلس جواره.

ماذا نقول اليوم فى الأمريكى الذى اشترى أرضا فى القمر..

كان مبعث السخرية من القروى الذى اشترى الترام أنه اشترى ملكية عامة تملكها الدولة ولا يتصور فيها أن يملكها فرد.

ماذا نقول اليوم بعد الخصخصة حيث تباع شركات ـ أغنى من شركة الترام وأهم ـ لأفراد يملكونها ملكية خاصة.

لن نستسلم لهذا السؤال لأنه خارج موضوعنا الأصلى وهو شراء أرض فى القمر.

إن بطل شراء أرض فى القمر هو بائع سيارات قديمة، ويقال إنه كان افشل بائع سيارات فى أمريكا إن لم يكن فى العالم كله.. امتهن البطل دنيس هوب، مهنة التجارة فى السيارات القديمة المستعملة والتى نسميها فى مصر «نصف عمر».

لم يكن يبيع شيئا منها، كان خاسرا طوال الوقت، والخاسر فى أمريكا على مستوى العرف رجل لا يستحق الحياة، ولا يستحق أن تمكث معه زوجته، رغم أنها تزوجته بعد أن تعهدت بأن تعيش معه فى السراء والضراء على حد سواء.

وهكذا هجرته زوجته ذات يوم بسبب خسائره وتركته وحيدا لا يعرف ماذا يفعل.

إن الحلم الأمريكى الذى يتمثل فى النجاح والثراء والوفرة والرخاء هذا الحلم تبدد تماما أمام عينيه.

فكر الرجل أن ينتحر، لكنه لم يستطع، وذات ليلة من الليالى القمرية، جلس دنيس هوب يتأمل القمر من حديقة منزله الجرداء التى تخلو من الورود والشجر.

كان القمر بدرا، وكان يضيء الليل رغم ظلمة الليل.. وانقدحت فى عقل التاجر الفاشل فكرة نيرة راحت تتلألأ أمامه.. كانت الفكرة أن يبيع القمر للناس.

لكن كيف يبيعه وهو لا يملكه..؟ من هنا قرر أن يبحث عن طريقة لتملك أرض فى القمر.

اكتشف أن معاهدة الفضاء التى أبرمت بين دول العالم سنة ١٩٦٧ حرمت على الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة أن تتملك أى جرم فضائى.. ولكنها لم تحظر ذلك على الأفراد.. ربما لأنها لم تتصور أن يقدم أحد من الأفراد على شراء أرض أى كوكب فى الفضاء.

من هذه الثغرة القانونية نفذ تاجر السيارات القديمة، بعدها توجه لأحد المحامين الذين يعرفون ثغرات القانون ودهاليزه وسراديبه، اكتشف الرجل أن هناك قانونا قديما صدر سنة ١٨٦٢ ويعطى كل مواطن أمريكى الحق فى إعلان كل أرض لا مالك لها هى أرض له.. واستنادا على هذه المادة القانونية وافقت سلطات سان فرانسيسكو على تسجيله مالكا للقمر، وثمانية كواكب أخرى واعتبار أرض هذه الكواكب جزءا

من ممتلكاته وذلك اعتبارا من سنة ١٩٨٠.

انتهى الأمر وبدأ الحلم الأمريكى يولد بالنسبة لصاحبنا.

أسس الرجل شركة عقارية، واستأجر خبيرا مسح له أراضى القمر وأراضى المريخ وقسمها ملايين القطع، ثم ظهر فى التليفزيون وتحدث عن مشروعه..

بعد ذلك أصبح كل شىء سهلا، إنهالت عليه الطلبات لشراء أرض فى القمر.. أو المريخ، ويبيع صاحب القمر والمريخ الفدان من أرض هذه الكواكب بثمانية دولارات « يا بلاش » وهذا ثمن بخس يدفع الراغبين فى الشراء إلى التكالب على الشراء.

وهكذا تحول تاجر السيارات الفاشل إلى مليونير كبير.. إلى هنا وكان يمكن للقصة أن تنتهى بسخرية الناس منه وعدم الشراء، ولكن القصة بدأت بتدافع على الشراء لا مثيل له.

إن زبائن القمر الذين يحلمون بملكية عدة أفدنة فيه يضمون مجموعة من الأسماء اللامعة، إن فيهم رؤساء جمهورية سابقين مثل جيمى كارتر ورونالد ريجان، وهناك نجوم سينما مثل كلينت استوود وهاريسون

فورد ونيكول كدمان وغيرهم، وهناك من يطلب شراء القمر كله بـ ٢٢٥ مليون دولار ولكن صاحب القمر رفض.

ويبقى فى الذهن سؤال يتأرجح.. هل هذا جنون والجنون فنون، أم أن هذه شطارة وتجارة.

لقد تم كل شىء طبقا للقانون، وأقبل الناس على الشراء راضين سعداء.. هى إذن شطارة وتجارة، إن الأمريكى يجيد تسويق أى شىء والإعلان عنه.. حتى الهواء الطائر أو الكواكب المعلقة فى السماء لا تنجو من نصبه القانونى المحكم.





قيمة العمل



دفع الكلب باب المقهى برأسه.. ففتحه وتركه مفتوحا حتى دخل صاحبه الشاب، بعد ذلك قاد الكلب صاحبه إلى مقعده فلما جلس فيه اقعى عند قدميه.

ونظر رواد المقهى نظرة العطف إلى الشاب، لظنهم أنه أعمى.. ثم دهشوا حين رأوه يفتح صحيفة الصباح ويلتفت إلى جارة ويقول : يبدو أن الأخبار صارت أحسن.

ولاحظ الشاب دهشة جاره.. فقال :

- كنت أعمى، وظل كلبى هذا يقودنى من مكان إلى

مكان فى هذه المدينة، فلما عولجت وارتد إلىّ بصرى حاولت أن أستغنى عن الكلب، فغضب وأضرب عن الطعام وصار يأبى أن يأكل وجعل يتماوت، لذلك أحاول الآن أن أفطمه عن عمله القديم رويدا رويدا، وقد أصبح يكتفى الآن بأن يأتى بى إلى هذا المقهى ويقودنى إليه كما لو كنت أعمى لأشرب قهوة الصباح.

هذه القصة التى يرويها تشارلزمولر تستحق أن نتوقف عندها قليلا.

إن أول انطباع توحى به القصة هو وفاء الكلاب لأصحابها ولكن هذا هو السطح الظاهر من القصة.

فى القصة أبعاد أخرى.

أبعاد تقول لنا إن المخلوق لابد أن يزاول عملا ما، فإذا حيل بينه وبين العمل فإنه يتمارض، ثم بعد تمارضه يمرض فعلا، ثم لا يلبث أن يموت.

هذه العلاقة بين العمل والحياة تقول لنا إن العمل جزء من تركيبة المخلوق.

جزء خلقه الله داخل المخلوق، وجعل له أهمية بالغة وجعل إشباعه يعنى الصحة والتكامل، وعدم إشباعه يعنى الضيق والبؤس والمرض.

تأمل كلب أهل الكهف.

لقد دخل الفتية إلى الكهف نجاة بدينهم من الملك الوثنى دقيانوس ، كان معهم كلب هو كلب الراعى الذى دخل الكهف مثلهم.

رقدوا مطمئنين يسألون الله من رحمته وعونه.

ماذا فعل كلب الراعى..؟

لم يجلس معهم، ولم يرقد جوار الراعى وإنما انتقى مكانا آخر ينام فيه.. هو باب الكهف.

ما الذى دفع الكلب إلى باب الكهف ؟

دفعه إدراكه أن عليه واجباً هو الحراسة.. هل يعى الكلب خطورة موقف أهل الكهف.. أغلب الظن أنه لا يعى خطورة الموقف، كل ما يعيه الكلب أنه استسلم لطبيعته الخاصة ووقف يحرس أهل الكهف.

بعد دقائق من وقوفه رقد على الأرض فى مدخل الكهف، وبسط ذراعية أمامه ووضع رأسه عليهما ونام.

وعلى من يريد دخول الكهف وإيقاع الأذى بالفتية أن يمر على الكلب أولا، والكلاب نومها خفيف،

وإحساسها بالرائحة عميق إلى درجة أن وجود رائحة لغريب يمكن أن يوقظها من نومها على الفور.

إذا كان هذا إحساس الكلاب بالعمل والواجب.. فما هو إحساس الإنسان بهاتين القيمتين.

إن كثيرا من الناس يستطيبون الكسل والجلوس بلا عمل ، ولكن هؤلاء قلة، والأصل أن الإنسان مخلوق مركَّب ومهيأ بحكم تكوينه أن يعمل ويكون له دوره فى الحيا ة، فإذا وقعت عليه البطالة أو حرم من العمل انهار شئ ما فى داخله وأسرع الخلل لصحته النفسية وبدأ يعانى من الأمراض.

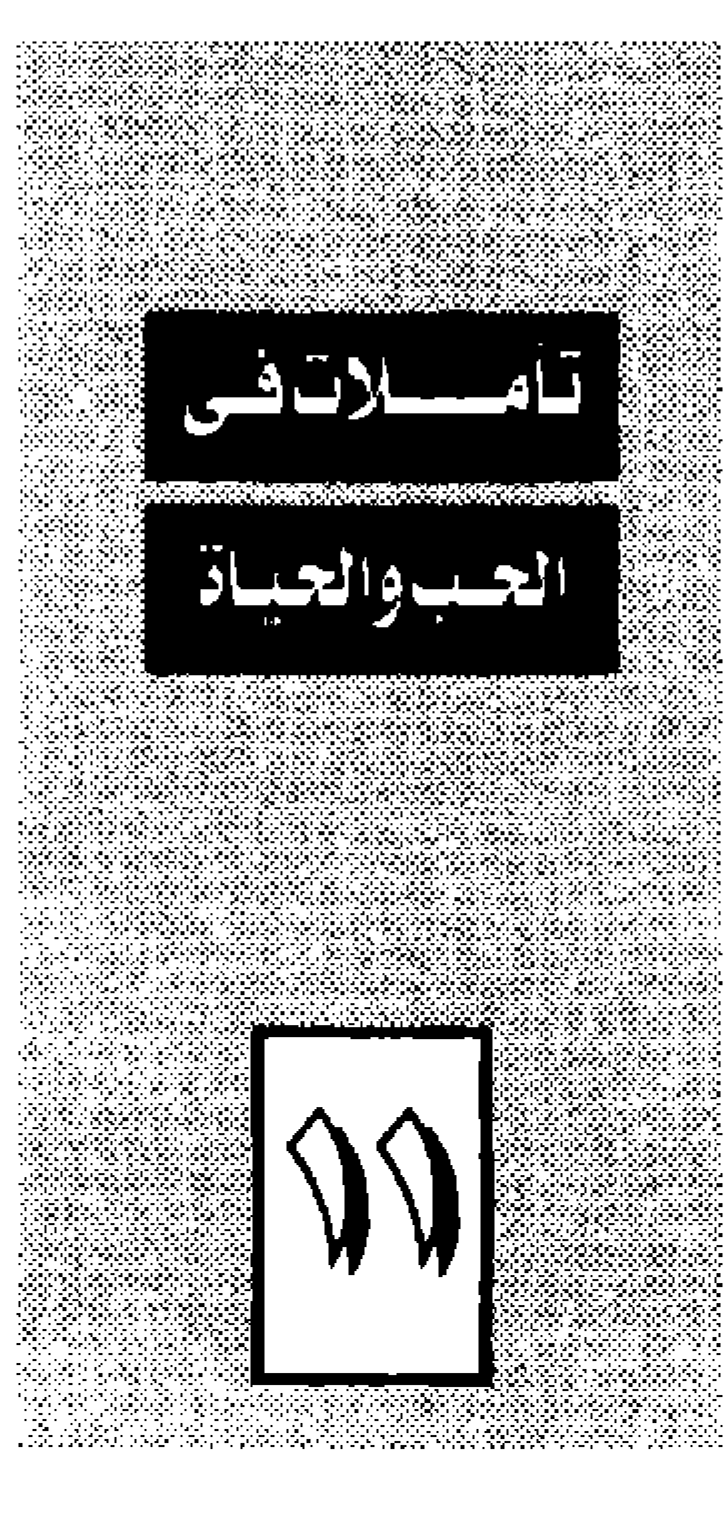
هناك قصة قصيرة لجوجول.. أديب روسيا الذى خرج معظم كتاب القصة من تحت عباءته.

تدور القصة حول ناظر فى محطة لقطارات السكة الحديدية، خرج إلى التقاعد بعد أن وصل سنه إلى الستين، وكان لا بد أن يخرج.

فى اليوم الحاسم لخروجه راح يتأمل حياته الجديدة التى سوف يبدأها منذ اليوم، وهى حياة تخلو من القطارات والعمل.. وليس له فيها أى دور.

مشى الرجل قليلا حتى عثر على مقعد فى المحطة، وجلس عليه وراح يفكر ماذا سيفعل بحياته التى صارت تخلو تماما من المعنى.

ثم سقط رأسه على صدره ونام.. وعثروا عليه ميتا فى مكانه بعد ساعات.



الطريق المسدود !

تأملت ملابسه وأحسست أنها غريبة.

أعـرف أن الملابس تعـبر عن شـخـصيـة صـاحبـهـا ، مـثلمـا أنها وقـاية من الحـر أو البـرد ، أى أنها فى نفس الوقت تعـبيـر عن جغرافية المكان أما صاحبنا هذا فهو قريب لى.

وهو ينظر إلىّ نظرة الشبـاب إلى كبيـر فى العائلة.. وهذا يعنى أن الكـلام يدخل من أذنه اليـمنى ويخـرج من اليسرى ، أو العكس. تأملت ملابسه وقلت له :

– ما هذه الملابس ؟

قال : ألا تعجبك.. هذه هى الموضة !

كان يرتدى بنطلونا من نوع الجينز الأمريكى، وكان البنطلون مجربا وباهتا ومتسخا ويمتلئ بالبقع.

أما القميص فكان مربعات قبيحة اللون فجة الشكل.

قلت له : هذه هى الموضة.

قال : نعم .

قلت له : لماذا لا تغسل بنطلونك.. إنه متسخ أكثر مما يجب.

قال : هذا هو الجديد فى الأمر.. إن ثمن هذا البنطلون هو ثلاثة أضعاف ثمن البنطلونات العادية.

إنهم يوسخونه ويجعلونه يبدو باليا وهذا هو السر فى ارتفاع ثمنه.

قلت له : أفهم من هذا أن البنطلون الذى ترتديه بنطلون أثرى له تاريخ ؟

قال : ليس تماما، إنما هو تقليعة أمريكية جديدة !

قلت له : يابنى .. إن أمريكا لديها شبه عقدة من ناحية التاريخ، لأن عمر أمريكا الجديدة قريب من ثلاثمائة سنة، ولهذا يخترعون هذه التقاليع الأثرية ليخفوا بها إحساسهم بالافتقار إلى التاريخ.. أما أنت

فمن بلد فيه آثار عمرها خمسة آلاف سنة.. وليس عندك مشكلة تجاه التاريخ ، فلماذا ترتدى بنطلونا أثريا.

قال قريبى : ميزة هذا البنطلون أنه لا يغسل ولا يكوى ، وهذا يوفر ثمن الغسيل والمكوى.. وهذا يعنى فى النهاية أنه أرخص من غيره من البنطلونات.. رغم أن سعره مرتفع عنها.

قلت له : ألا تحس بالضيق وأنت ترتدى هذا البنطلون.. ألا يؤذيك شكله.. ألا تزعجك رائحته ؟!

قال : لقد تعودت عليه.

لم يستمر الحوار بيننا طويلا، ولكننى لاحظت أن هذا الشاب يمثل تيارا فى المجتمع.

وهو تيار واقع فى عشق أسلوب الحياة الأمريكية.

إنه يرتدى الجينز ويأكل الهامبورجر ويتغنى بجمال البيتزا ويشرب بعدها الكولا ولا ينسى نصيبه من الديسكو حيث يظل يقفز ويتنطط كأنه فى حفل من حفلات الزار.

وقد ذكرنى الحوار معه بقصة بائع الطرابيش والقرود.

● ● ●

يحكى أن بائعا للطرابيش دخل إلى الغابة ثم أدركه النعاس فنام.. ونزلت القرود من فوق الأشجار وسرقت الطرابيش ، وارتدى كل قرد طربوشا وصعد إلى أعلى الشجرة واستيقظ بائع الطرابيش فلم يجد طرابيشه.. ونظر حوله فرأى القرود فوق الشجره وهى ترتدى الطرابيش.

فكر البائع ماذا يفعل، ثم هداه عقله إلى الحل، إن القرود كائنات تعشق التقليد.. ولو أنه خلع طربوشه ورماه على الأرض فسوف تحذو القرود حذوه وتقلده.

ونفذ البائع خطته فخلع طربوشه ورماه على الأرض وتبعته القرود.

ذكرنى سلوك قريبى هذا بسلوك القردة.. إن التقليد هو اختيارها وليت التقليد جاء فيما هو جاد أوهام أو متصل بالعمل، إنما جاء التقليد فى الخيبة والشكل.

هذا التيار من الشباب المغترب داخل بلاده لأنه واقع فى هوى التقاليع الغربية، يقابله تيار آخر من الشباب الذى يعيش فى الماضى ويرفض المدنية الغربية رغم كل ما تضم من حسنات.

ولا حوار بين تيار المغتربين فى التقاليع، والمغتربين فى الماضى.. وكلاهما يسير فى نفق مسدود.



القــرن القــادم

لم يكد القرن الواحـد والعشرون يقـترب من الناس، حـتى تفتـحت شـهيـة المتنبئـين للنبوءات.

أيضا انفتحت شهية المحللين والأكاديميين والكتـاب لـتناول الألف الثـالثــة بالحـديث والتــحليل والتكهنات.

واخـتلطت الحقـائق بالأوهام، كمـا اختلطت الأرقـام بالأسـاطيـر، ورغم الفـوضــى الضـاربة فى السـاحـة الفكرية، إلا أن هناك ما يشبه الاتفاق على مجموعة من الحـقـائق التى يرى المحللون أنهـا سـتكون جـزءا من نسيج القرن القادم.

إن القرن العشرين.. كان هـو القرن الذى وقعت فيه الحرب العالمية الثانية.

وهى حرب وصلت أمريكا فى نهايتها لإطلاق الطاقة النووية المدمرة واختراع القنبلة الذرية.

فى البدايـة كانت أمريكا وحـدها فى النادى الذرى. ثم التحقت بها روسيا بعد فترة.

وما لبث النادى أن جذب أعضاء جددا. ونـجحت هذه الزيادة أن تؤدى إلـى لون من ألوان التـــوازن النووى جعل استخدام القنبلة أمرا مستبعدا.

إذا كان القرن العشرون هو قرن القنبلة الذرية، فإن القرن الواحد والعشرين هو قرن المعلومات.

وفى رأى البعـض أن حرب المعلومات تشـكل تحديا أمنيا عظيما وحقيقيا لأمريكا.

إن الفيـروسات الألكترونيـة تستطيع تخـريب أنظمة بالغة الأهمية فى هجوم مفاجىء.

إن أجهـزة كمـبيوتر وزارة الدفـاع الأمريكيـة تبدو وكأنها تتـعرض لقصف متـواصل، وقد نبع هذا القلق من الفـرص الجديدة التى صـارت متـاحة أمـام الدول المعادية أو أمام الإرهابيين.

واستنادا إلى لجنة الـدفاع القومى فى أمـريكا، فإن تهـديدات حرب المعـلومات للولايات المـتحـدة يمكن أن تشكل التـحـدى الأعظم فى الإعداد لـلمناخ الأمنى بين الأعوام ٢٠١٠ إلى ٢٠٢٠.

ويمكن لحرب المعلومات هذه أن تـشتمل على تعطيل أنظمة الدفاع الجوى. وانحراف الصواريخ عن مسارها. وتعتيم رؤية القادة العـسكريين المحليين، وإرباك القادة الكبـار عن طريق التـشويش علـى أجهـزة الكمـبيـوتر وبرامجـها. ويمكـن ارسال اشارات مـضللة إلى كـبار القـادة وإيصال أوامـر غـير صـحـيـحة إلى الوحـدات الرئيسيـة، ويمكن أيضا ارباك الحياة المـدنية من خلال مـهـاجـمـة انظمـة المعلومـات التى تغـذى انظمـة المال والمواصلات.

وصـحـيـح أن هذه الأسـاليب يمكـن أن تلعب دورا مـساعـدا فى النزاعـات ولكن من الصـعب أن تصـبح حاسمة فى حد ذاتها.

وفضلا عن هذا كله، ليس من السهل اليوم على أى أحد أن يسيطر على تدفق المعلومات بعد انتشار الأقمار الصناعية، وانفتاح السماء..

وحتى المعلومات ذات الصفة العسكرية، يمكن الحصول عليها من المجالات المدنية، وهى فى متناول العدو والصديق معا.

ما هى أهم مشكلة سوف تشغل القرن الحادى والعشرين ؟

ثمة اتفاق على أن الحرب والسلام هما مشكلة هذا القرن، فإذا لم يكن ثمة سلام فمن المستحيل إيجاد حلول لمشاكل القرن القادم.

لقد شهدنا خمسين حربا منذ نهاية الحرب الباردة، وهناك أربعون حربا فى الوقت الحالى.. وتولد هذه الصراعات دولا ليست نامية، ولا فى طريق النمو، إنما هى دول تلاشت فيها الحكومة، كما هو واقع فى افريقيا وفى غيرها من دول العالم.

بعد مشكلة الحرب والسلام تأتى مشكلة السوق والديمقراطية، ونحن نعيش على وهم مفاده أن السوق والديمقراطية سيوفران نظاما غاية فى الاستقرار التام فى القرن الحادى والعشرين.. ولكن السوق والديمقراطية لم يكونا كافيين لتأسيس حضارة، وإنما هما من القيم المتناقضة، حيث أن السوق لا يحتاج إلى

حدود بينما الديمقراطية تحتاج إلى الحدود . بعد مشاكل الديمقراطية والسوق يأتي التساؤل عن القوى الكبرى التى ستكون بارزة فى القرن الحادى والعشرين.

هناك شبه اتفاق على أن أمريكا، رغم أفول نجمها نسبيا - هى المرشحة لتظل قوة عظمى من الناحية العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية..

ويتنبأ البعض أنها ستستمر على هذا الحال لمدة خمسين عاما قادمة، أما أوربا فيتنبأون لها بأن تكون القوة الثانية فى العالم، إذا واصلت تقدمها، وكان لديها بالاضافة إلى العملة الموحدة «اليورو» حكومة سياسية ونظام دفاعى وحلم يمكن أن يكون بديلا للحلم الأمريكى.. إن العالم لا يستطيع أن يعيش دون أحلام.. وإذا كان الحلم الأمريكى قد أفلس من الناحية الروحية، وحلم أوربا لم يتشكل بعد وإن كان يسير فى طريق الحلم الأمريكى.. فما هو الحلم المرشح للبشرية فى القرن القادم.. إن المطلوب حلم تتوازن جوانبه المادية مع الروحية.

١٣

القرن القادم والحب

هل يختلف شكل الحب فى القـرن القادم عن شكله فى الـقرن الذى يـتهـيـأ لدخـول التاريخ ؟

هذا هو السـؤال الذى طرحه البـعض من باب الفكاهة أو السخـرية.. والحق أن السؤال أولى أن يطرح بجدية أكثر.. المفروض أن الحب احساس إنسانى فى أســاســه.. والأحــاســيس باقـيـة رغم كـر الدهور والقرون.

هذا هو الأصل.

رغم ثبات الأحـاسيس النسبى إلا أن ظروف الحـياة تفرض على الناس أشكالا جديدة لأحاســيسهم القديمة،

وربما تحمل الأيام ما لا يدريه أحد . دعونا نتصور أن قيس بحـبه الجارف لليلى قد وجـد فى قرننا هذا، أن شعـر الغزل والتشـبيب الذى قاله قـيس فى ليلى كان هو السر فى التفريق بينهما.. وهو السر فى فضيحتها وسط الصحراء.

لو عاش قـيس اليوم، لذهب إلـيه التليـفزيون واذاع شعره فى ليلى، ولو حدث هذا لاشتـهر قيس أكثر من شهرة لاعـبى الكرة، ولسعت إليه الشركـات ليعلن عن سلعها المختلفة ولصار قيس مليونيرا فى أيام.

أكان أبوها يتردد فى تزويجها منه رغم تشبيبه بها وفضيحتها وسط القبائل ؟

الجواب أنه لم يكن يتردد.. ولعل الأب كان هو الذى يسعى لقيس ليقول له :

– لقد فضحـتنا فى الدنيا وعليك أن تصحح غلطتك وتتـزوج منـهـا عـلى الفـور. إن المأذون يجـلس فى السيارة.. فهل أنادى عليه.؟

لو مضينا فى الـتصور فسوف نقـول إن قيس بعد أن رأى الدنيا بما فـيها من حسـان وجميلات قـد مال قلبه لمذيعة من مذيعات التليـفزيون أو فتاة حسناء من فتيات الإعلانات.

وبالتـالى فـقـد جـاء دوره هو ليـتـهـرب من ليلى

ووالدها وعائلتها كلها.

كيف كانت تنتهى قصة قيس وليلى فى عصرنا.

أكان قيس يحب عن طريق الانترنيت؟

أسـئلة كثـيرة لا نعـرف جـوابها.. وإن كـان يمكن القول أن شكل قصة الحب بين ليلى وقـيس كان حتما سيتغير فى هذا القرن.. فما بالنا بالقرن القادم..

زارنى صديق قديم.. وكان قد اختفى منذ شهر فلم أره إلا أخيرا.

كان وجهـه غاضبا كـما كانت عيناه تعكسـان حيرة رجل محزون لا يدرى كيف يتصرف.

سألته ما الذى أخره عنا فقال إنه الحب.

إن صاحبنا لديه ابنتان.. وهما جـميلتان بكل معيار، وقد قررتا الزواج.. وتقدم إليهما أكثر من عريس.. وقد اختارت كل بنت منهما زوج المستقبل.

قلت لصديقى : الف مبروك.. لماذا أنت محزون.

قال : بسبب اختيار البنتين.

سألته : ماذا اختارتا ؟

قال : مـن بين المتقـدمين كـان هناك وكيل للنيـابة، ودكتـور فى الجامـعة، وطبـيب شهـير.. وضـابط فى

الجيش.. وقد رفضت البنتان كل هؤلاء واختارت واحدة منهن شابا لديه دكان لبيع الملابس المستوردة.

أما الثانية فاختارت شابا غنيا لا يعمل اكتفاء بثروة والده ومضى صديقى يحكى.

فهمت منه أن النار اشتعلت فى عائلته بعد ذلك، لقد رفض أعمام البنتين وأقاربهما هذا الاختيار.. ومضوا يتندرون على صاحب الدكان بأنه تاجر شنطة.. كما رفضوا الغنى الذى لا يعمل رغم إعلانه أنه سيعمل فى الاستيراد والتصدير.. وأصرت البنات على موقفهن.. مضيت أستمع لصديقى وأنا أفكر..

قديما كانت العائلات البورجوازية فى مصر تزوج بناتها من موظفين حكوميين لهم نفوذ.. أو تزوجهم من تجار أثرياء لهم فى السوق مؤسسات وأموال.

أما أصحاب الدكاكين الصغيرة أو أصحاب العمل الحر فى السوق فكان ينظر إليهم نظرة دونية، ولم يكن أحد يرضى لبناته هذا المصير القلق المعلق.

ثم تغيرت الدنيا وصار التاجر الصغير أو صاحب الدكان يكسب فى اليوم ما يكسبه موظف الحكومة فى شهر.

إن المادة تغزو الحب وتفرض عليه أشكالا جديدة لم يكن يعرفها.



الطاولة..والشطرنج

تنتـمى الطـاولة لألعـاب الشـرق القـديم والجديد.

ويتم لـعب الطاولة عــادة فــى المقـــاهى أو البيوت.

إن الموظف العـربى يعـود مــن عـمله فى الظهـيرة أو بعـدها بساعـتـين، يخلع ملابـسه ويرتدى الجلبـاب ويتناول غداءه ، ثم يستسلم لنوم القيلولة.

فإذا استـيقظ أكل قطعة من البطيخـة التى أحضرها معه إلى البيت وهو عائد من عمله.

وفى البطيخ مادة تسمى الفينو باربيتون، وهى مادة

تبعث على النعاس أو ما هو قريب من النعاس.

بعد ذلك ينصرف المواطن العربى إلى المقهى للعب الطاولة.. بينما صديقه الذى سيشاركه اللعب قد سبقه إلى المقهى وجلس ينتظره وهو يشد أنفاسا هادئة من الأرجيلة.

لا يكاد صاحبنا يصل حتى تبدأ مباراة الطاولة.. وهى لعبة شرقية.. ترمز إلى الشرق وتعبر عنه أفضل تعبير.. إن نسبة الحظ فيها ترتفع إلى ٨٠٪.

وإذا كان هناك من يظن لطول ممارستها أنها لعبة تعتمد على الذكاء أو الحرفنة.. إلا أن هذا الظن هو فى نهاية الأمر ظن لا سند له من الحقيقة.

إن لعبة الطاولة لعبة شرقية، بمعنى أن مجال الفكر والتدبير فيها محدود.. أما مجال الحظ والصدفة فمفتوحان إلى النهاية.. وفى الشرق.. حيث تشيع فكرة الجبر بين الناس.. ويؤمن كثير من الناس بأن الأقدار توجه خطاهم فى الحياة، وأن إرادتهم لا علاقة لها بما يحققونه فى الدنيا.

وسط هذا الجو الذى يعبق ببخور الاستسلام والاعتماد على الحظ، يصير لعب الطاولة وشد أنفاس

الأرجيلة عملين قوميين، وعادة من عادات الحياة.

ولقد حرصت بعض العصور الاستبدادية فى الشرق، على اقناع الناس بأنهم مجبورون فى الدنيا ولا إرادة لهم فيها، وتم هذا لخدمة النظم الاستبدادية.

فهذه النظم قضاء وقدر كتبه الله على الناس، ولا فكاك منه ولا معنى للخروج عليه.. فالمكتوب مكتوب.

ورغم تعارض هذه النظرة مع روح الإسلام ونصوصه، لأن الله لا يحاسب أحدا مسلوب الإرادة ، إلا أن هذه النظرة شاعت وكانت الطاولة هى لعبتها المفضلة، فالطاولة هى الأخرى تعتمد على الحظ والقضاء.

إذا كانت الطاولة رمزا من رموز اللعب فى الشرق، فإن الشطرنج رمز من رموز اللعب فى الغرب.. والفرق بين الشرق والغرب، هو الفرق بين الطاولة والشطرنج.

إن الطاولة تعتمد على الحظ، أما الشطرنج فمباراة تعتمد على التدبير.. والحسابات الدقيقة.

وكل حركة يتحركها اللاعب فى الشطرنج تعنى أن

على اللاعب الآخر أن يحسب مجموعة من الاحتمالات لحركة منافسه لكى يرد عليها بما يفسدها.

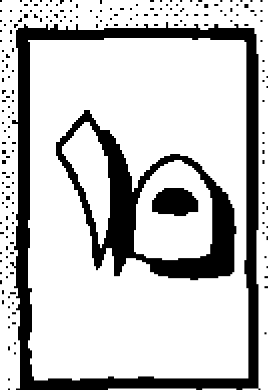
في الشطرنج، نحن أمام جيشين، لكل جيش منهما ملكه ووزيره وعساكره وطوابيه وأسلحته.

وغاية اللعب حصار القيادة العليا فى الجيش الآخر وتشييعها إلى نهايتها بعبارة تقول :

- كش .. مات.

لا أعرف لماذا دارت هذه الخواطر فى رأسى وأنا أشاهد مباريات المونديال فى نهاية هذا القرن.

لقد قارنت فى نفسى بين الكرة المصرية والكرة الأوربية، وخيل إلىّ أن كرتنا تشبه لعبة الطاولة التى تعتمد على الحظ، بينما تشبه الكرةالأوربية لعبة الشطرنج التى تنطوى على خطط وحسابات واحتمالات.



فضائح الآخرين !!

تابعت - بمشاعر مختلطة - أحداث الفضيحة الأمريكية التى وقعت فى قمة الرئاسة وعرفت باسم «مونيكا جيت» إشارة إلى فضيحة «ووتر جيت» التى وقعت من قبل لنيكسون وكانت سببا فى استقالته وخروجه من منصبه.

ولقد كان سبب الفضيحة الأولى هو التنصت والكذب، أما الفضيحة الثانية فكانت تنتمى إلى عالم الجنس لا دنيا السياسة.

وقد لاحظت أن الناس يكرهون الاستماع للنصائح،

ويحبون الاستماع للفضائح.. وخاصة فضائح الآخرين.

إنه شعور ممتع أن يجلس الخطاة فى مقاعد القضاة، ويحكمون على غيرهم بفساد الأخلاق.. بينما هم يرتكبون أضعاف ما يرتكبه غيرهم من الخطايا والآثام.

وهذا ليس عدلا.

وفى التاريخ المسيحى قصة تعبر عن هذا الظلم أكمل تعبير.

أراد حاخامات اليهود إحراج سيدنا عيسى عليه السلام، وكان يقول «ماجئت لأنقض الناموس وإنما جئت لأكمله» يقصد بذلك إنه لم يأت ليعارض رسالة موسى والناموس الذى انزل عليه.. وإنما جاء ليعيد الروح إلى النصوص التى جردت من معانيها، والقلوب التى خلت من روح القدرة على فهم النصوص.. أراد اليهود أن يحرجوه فأحضروا عاهرة وقالوا له :

- هذه المرأة تمارس الزنا.. وقد كان قانون موسى يأمر برجمها.. فماذا تقول أنت فيها؟ ما هو حكمك عليها ؟

هل تستحق الرجم أم لا ؟

نظر عيسى عليه السلام إلى المرأة وإلى الذين يطالبون برجمها.. وقالت كلمته الشهيرة :

- من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.

هذه أول فكرة تعبر الذهن حين يتابع المرء قضية كلينتون.

إن الرجل لم يغتصب متدربة فى البيت الأبيض، ولم يتحرش بها جنسيا لأن الأصل المفترض فى التحرش الجنسى أن يكون خاليا من الرضا، وأن يكون فيه إكراه يرفعه إلى مرتبة الجريمة التى يعاقب عليها القانون، أما إذا كان الطرفان راضيين فنحن أمام علاقة ولسنا أمام جريمة، وفى أمريكا لا يعتبر الجنس القائم على رضا الطرفين جريمة.

ولعل هذه الأسباب كلها كانت سببا فى أن شعبية كلينتون لم تتآكل خلال المأساة التى استمرت شهورا طويلة.

أيضا لوحظ على الإعلام عموما والصحافة خصوصا حرص الإعلام والصحافة على دفع الأحداث وتصعيدها لاستخدامها كمواد إعلامية تصلح للاستهلاك وتؤدى إلى مزيد من الربح فيما بعد.

والأصل فى وظيفة الإعلام أن يقتصر على نقل الأخبار بحياد دون تدخل فيها أو دفع لها أو إشعال لأطرافها.

وقد ضاع هذا الأصل تماما فى تغطية الإعلام لقضية مونيكا جيت، فقد اعتبرها التليفزيون دجاجة سقطت من السماء بين يديهم، دجاجة تضع كل يوم بيضة من الذهب.. فإلى جوار التفاصيل الدقيقة التى نشرت فى الصحافة وزادت من توزيعها، يستعد التليفزيون لعمل مسلسل عن علاقة كلينتون بمونيكا لوينسكى، وهو مسلسل يعرض على مونيكا مليون دولار مقابل شراء قصتها.. إلى جوار الأفلام التى تستعد للنزول إلى السوق وتتناول هذه العلاقة.

ولعل هذا الجوع إلى تحقيق الربح وتحويل الأزمة إلى استثمار.. كان سببا فى أن الأغلبية من الناس تعاطفت مع كلينتون وظلت شعبيته فى صعود.

ولعل أطرف وأعجب ما حدث فى قصة كلينتون كان هذا الخطاب الذى ارسله رئيس تحرير مجلة من مجلات الجنس الخليعة هو لارى فلنت إلى المحقق المستقل كينيث ستار.

قال رئيس تحرير المجلة الإباحيـة أنه أعجب بطبيعة عـمل كــينيث ســتــار الإبــاحـيـة التى تنــم عن مــيل للتلصص.. وإنه يهنئه لأنه فـتح باب المكتبات والمدارس ليدخل الأدب الخليع، وإنهم فى مجلة هاسلر يحتاجون إلى مساعدته وخبرته للتـوسع فى مجال الخلاعة حتى تشمل عـددا أكبر من البـالغين. وختم رئيس التــحرير رسالته بقوله لستار :

– لقد فتحت أمامنا عصرا جديدا فى الترويج للمواد الجنسية الفاضحة.

....

وقد نشــرت هذه الرسالة فى لوس انجـلوس.. ولقد كانت هذه الرسالة ســببا أضيف إلى الأســباب الأخرى التى تفسر سر عدم تآكل شعبية كلينتون.

ولعل أخطر مــا أســفرت عنه هذه الـفضــيـحة أنهـا تحـولت إلى اسـتـثــمـار اقـتـصــادى يـجلب مــلايين الدولارات.. وهذا تشجيع عـملى للناس على الفضائح.. وهذا يفتح مجال الابتزاز على مصراعيه، ويسمم مناخ الحياة ويشيع فيه الرذيلة.

قوة الشر

الوجوه التى نراها فى الدنيا ليست بالضرورة وجوها من لحم ودم، قد تكون اقنعة من الورق المقوى أو اقنعة من مادة البلاستيك، وقد تطورت هذه الأقنعة بحيث صارت قادرة على إخفاء الملامح الحقيقية لصاحبها، واخفاء نسبة من الشر غير المرئى خلفها، والأصل أن الشر غير مرئى.

إن أحدا لم ير إبليس حتى اليوم، وغم هذا فإن آلاف الجرائم التى تقع على سطح كوكبنا تؤكد أنه موجود فى الهواء على سطح الأرض وفى دم الإنسان

وغرائزه وتلافيف عقله.

والشر قوة غاضــبة وغامضة تنبعث مــن حقد قديم وكـبـرياء ســـحـيق، وهذه القـوة قـادرة عـلى تحطيم الإنسان لو استسلم لها.

ولعل لؤم إبـليس ودهاءه يصـــوران للإنســـان أنه يكسب من وراء الشر .. بينما تكون الحقيقة أنه يحطم نفسه ويخسر..

ويبـدو الشــر ـ للوهلة الأولى ـ أقـوى من الخيـر، فحزبه هو الأغلبية، ودعــاته هم الأكثرية، وهم يتكلمون كثيرا ويعملون كثيرا.. وقديما قال المعرى :

ما لى رأيت دعــاة الشر ناطقـــة

والرشــد يصمت خـوف القتل داعوه

إن دعاة العقل والخـير صامتون خائفـون، والشاعر يطرح سؤالا ويجيب عليه.. إن صمتهم نابع من خوف القتل.

هو صمت له أسبابه الوجيهة.

من الذى يتكلم فى الساحة ؟ إنهم دعاة الشر.

ما هو سر قوتهم..؟

وأيضا ما هو سر قوة «إبليس» ؟

إن سر قوة الجميع هو قدرتهم على الاستخفاء.

يرى الكاتب الفرنسى ذو الأصل السـويسرى دنيس دى روجمون أن أساليب الشيطان تختلف فى الاختباء، فنحن نبحث عـنه حيثـما وجدت الرذيلة أو الخطيـئة.. ولا يخطر ببالنا قط أن نبحث عنه فى فضائلنا.

وفكرة دنيـس دى روجـمـون تقـتـرب مـن فكرة الوسوسـة التى يحدثنا القرآن الكريم أن الشـيطان لجأ إليها للتـغرير بآدم وحواء وخداعهمـا.. لقد قال لآدم :

﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾.

إنه يطرح اقـتراحا فـحسب.. ويلوح بأعـلام الخلود والملك الذى لا يتغير ولا يتأثر ولا ينقضـى أو ينفد.

ومـضـى آدم إلى الفخ.. وعـصـى ربه ثم ندم وتاب، بينما كانت معصية إبليس إصرارا على الشر.

خطيئة آدم كانت خطيئة ومتـابا، بينما كانت معصية إبليس إصرارا واستكبارا.

من هنا غفر الله لآدم، وطرد إبليس من رحمته.

ونحن نشكو من الشر.

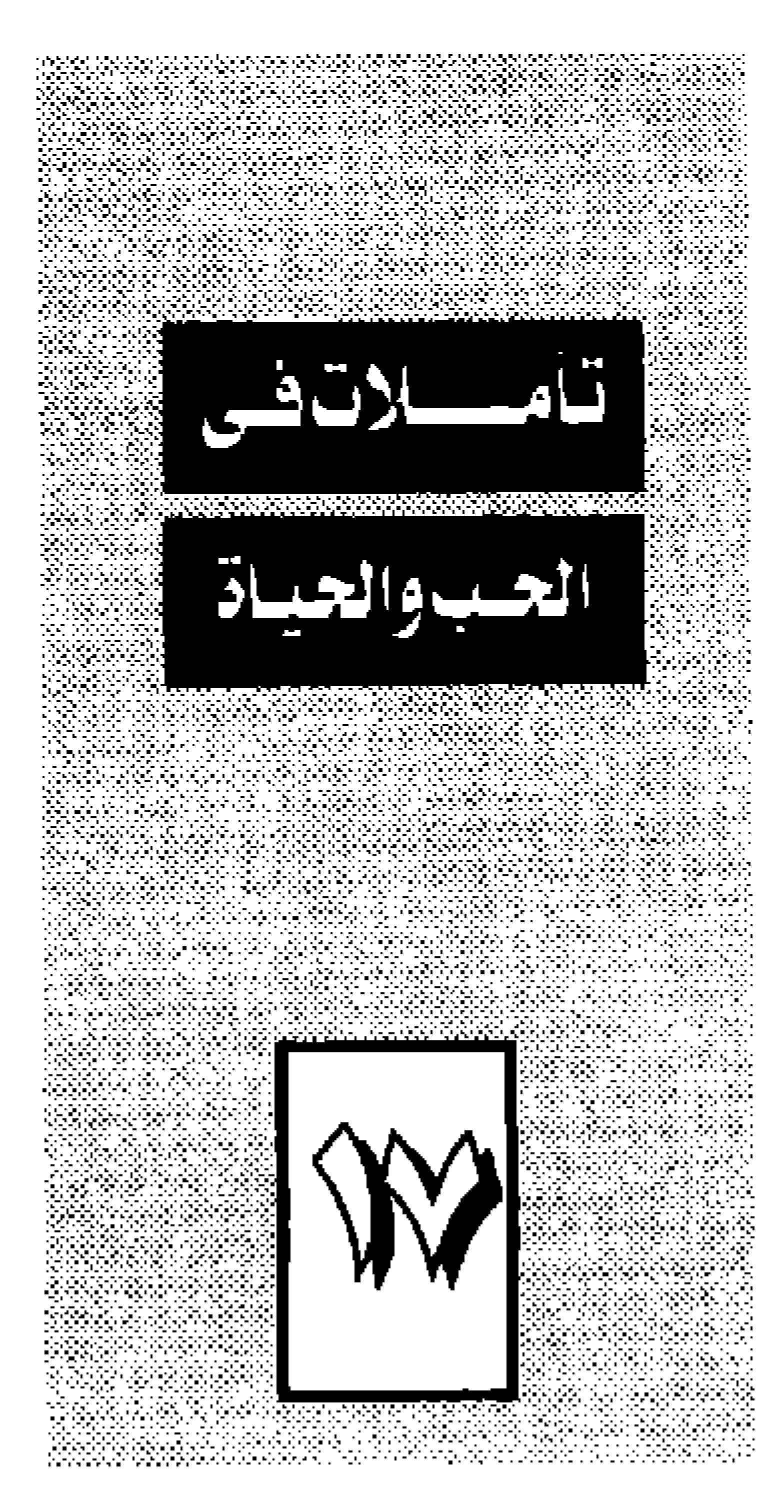
والشر يسعده أن يشكو منه الخير.

إن كثرة الشكوى دليل على خيـبة رجال الخير وقلة حيلتهم..

وهذا يسعـد الشر كثيـرا.. وسوف نلاحظ أن الذين يقفون فى خيـمة الخير ليسوا منظمـين ولا متماسكين ولا متحدين ولا مدربين كرجـال الشر، أيضا يختلفون على التفـاصيل والأسلوب، وأى نظرة على مـعسكرات الشر تؤكد أن الشر يدرب رجـاله ويعلمهم تقاليده فى القتال، مستمتعا بحرية تنبعث من الشعار الذى يقول : الغايـة تبرر الواسطة، مـعتـمدا على تخـففه مـن حمل الأخلاق والمبادىء مستـخدما أسلحة لا تخطر على بال أصحـاب الخيـر وجنوده، أما معـسكر الخيـر فيـحمل رجاله على اكتـافهم مبادىء ثقيلة، وحـركتهم ابطأ فى القتال وأسلحتهم مقيدة بالشرعية.

والشر فى الدنيا هو صاحب الصوت الأعلى، والجند الأقـوى، ورغم قوة الشـر ووداعـة الخـير ينصـر الله الخير فى النهاية.

هذا وعد الله لأهل الخير ودعاته.



آثار جانبية

كانت الحروب فى الأزمنة القديمة تحتفظ بأسرارها فى نفوس المحاربين ، إن الخطط توضع على الورق، ويتم احراق الورق بعد وضع الخطط لضمان أكبر قدر من السرية.

وكان الإنسان هو الذى يحتفظ فى عقله بأسرار الهجوم وزمنه وعدد الجنود المحاربين وعدد الجنود الاحتياطيين.

لقد تغير هذا الموقف بعد التقدم المثير الذى وقع على الأسلحة والحروب.

صار الكمبيوتر هو المخبأ الذى يحتفظ بالأسرار،

وصار الوصول إليه وفك شفرته وحل أسراره بمثابة تعرية كاملة لفكر العدو. وكشف كامل لنواياه.

وهذا التطور رغم كل ما يحمله من تقدم يحمل معه فى نفس الوقت مخاوف ومحاذير عديدة.

إن شابا لا يتجاوز عمره العشرين عاما كان بإمكانه أن يطلق الصواريخ النووية ويحدث دمارا هائلا فى أجزاء مختلفة من العالم.

ومن المدهش أنه لم ينكر ذلك، وإنما قال :

- كنت استطيع أن احدث دمارا فى العالم لو أننى كنت صدام حسين أو إرهابيا فى جيش التحرير الإيرلندى.

هذه هى الكلمات التى دافع بها ستيف بيفان عن نفسه وهو ماثل أمام محكمة وولوريش فى منطقة كارديف البريطانية.

كان ستيف يواجه قائمة ثقيلة من الاتهامات، وتتلخص هذه الاتهامات فى أنه تسلل إلى برنامج الكمبيوتر الذى يتحكم فى القاعدة الجوية الأمريكية فى نيويورك، وهذه القاعدة يتحكم فيها برنامج كمبيوتر يعرف باسم نظام «فيكس» وهو برنامج يساعد

العسكريين الأمريكيين على تحديد الأهداف التى يطلقون عليها صواريخهم النووية وتوجيه الضربات إليها.

لم تكن هذه هى كل الاتهامات التى وجهت إلى الشاب.. وجهت إليه أيضا تهمة تتعلق بدخوله غير المشروع إلى نظام كمبيوتر يحرك صواريخ لوكهيد فى كاليفورنيا.

استطاع ستيف بيفان أن يفعل هذا كله وهو جالس فى غرفة الكمبيوتر فى بيته الإنجليزى الصغير.

كيف نجح هذا الشاب فى اختراق القواعد الجوية الأمريكية، وكيف استطاع أن يصل إلى الصواريخ التى تحمل رؤوسا نووية، وصار فى إمكانه أن يوجهها لأى مكان فى العالم؟

إن قواعد الصواريخ النووية فى أمريكا محروسة بأكثر من نظام، إنها تقع فى أرض لا تطؤها قدم غريب، وحولها أسوار وأسلاك شائكة مكهربة، وهناك أكثر من طوق للحراسة.

وهذا كله يجعل من المستحيل على نملة صغيرة أن تتسلل لهذه القواعد . كيف تسلل إليها هذا الشاب ؟

لقد تسلل إليها عن طريق الكمبيوتر.

إن ستيف بيفان لا يملك سوى هواية واحدة.. الكمبيوتر.. إنه يقضى معظم ساعات النهار والليل وهو جالس أمام الكمبيوتر.

اخيرا نجح فى حل برنامج من برامج الكمبيوتر المعقدة، ووصل إلى قلب نظم الكمبيوتر الشفرية، وهذه النظم إذا نجح أحد فى حل شفرتها، صار كل شىء أطوع له من بنانه.

وهكذا عرف ستيف كلمة السر، استغرق شهورا ليصل إليها عن طريق نظام التجربة والاختيار.

حين وصل إلى كلمة السر فوجىء أنه يتحكم فى نظام البنتاجون الذى يسيطر على كمبيوتر سلاح الطيران الأمريكى ونظام الصواريخ.

لم يكن قصد الشاب هو التجسس أو إطلاق الصواريخ أو إحداث دمار فى العالم، باختصار.. لم يكن قصده عسكريا ولا علميا، إنما كان يلعب، كان يمارس هوايته.. وهى هواية استغرقت حياته كلها.

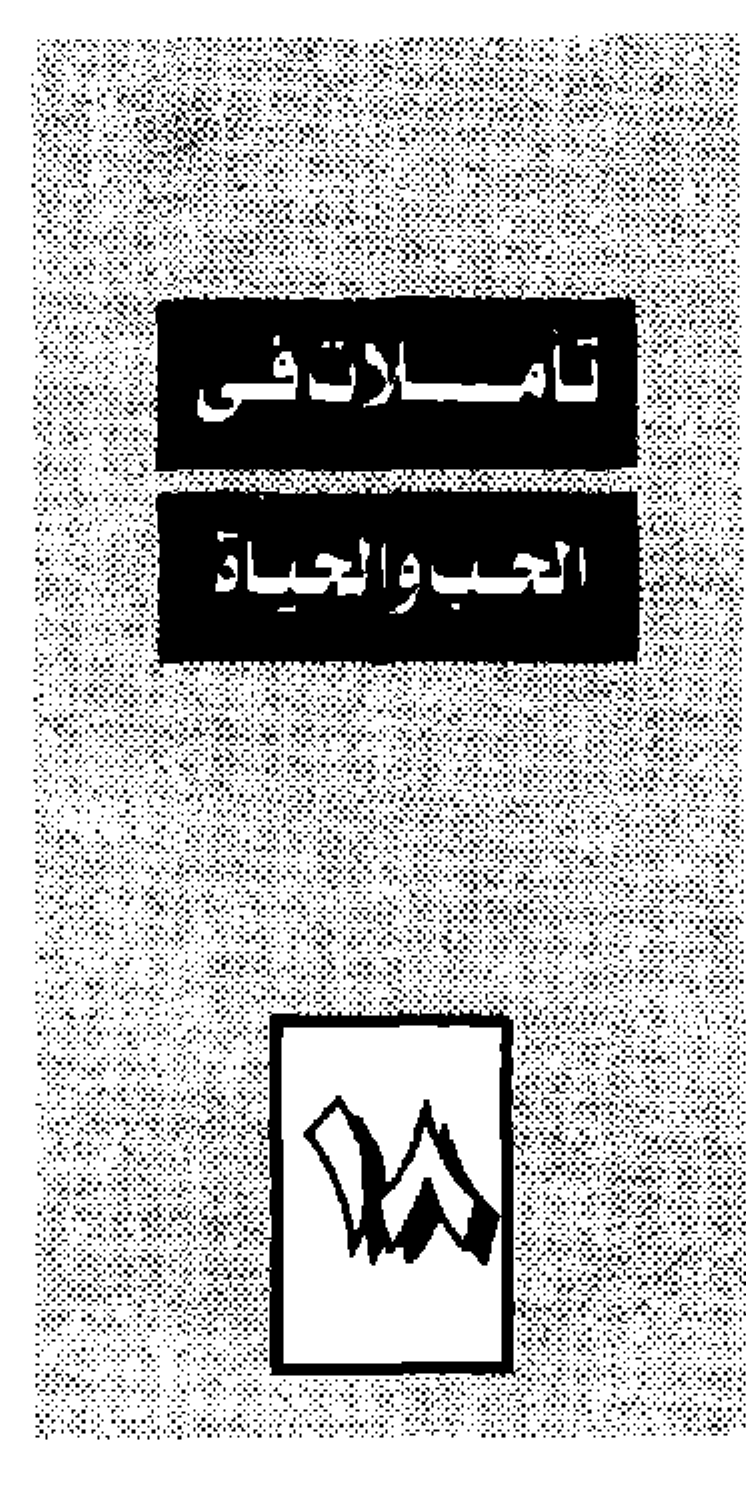
وحين وقف ستيف أمام المحكمة لم ينكر التهم الموجهة إليه، كان على العكس فخورا بها.

قال : لقد نجحت فى اقتحام أكبر نظم المعلومات والكمبيوتر فى العالم، وقد اقتحمت قبل ذلك برامج عسكرية خلال سنة ٩٢ و٩٣، ثم توقفت عن ذلك حين قام المسئولون بتغيير كلمة السر.

لم يكن هناك أى قصد جنائى.. كان الشاب يمارس هوايته ويلعب، ولم يجد القاضى أى دليل اتهام ضده، فهو لم يتصل بأحد، ولم يستغل معلوماته أى استغلال، ولم يطلق الصواريخ النووية وكان فى إمكانه أن يطلقها.. وأغلق القاضى ملف القضية.

لم يكن ستيف بيفان هو الوحيد الذى تملكته هذه الهواية، هناك شاب آخر يدعى ريتشارد برايس، وهو يعيش فى شمال لندن، وقد نجح عن طريق الكمبيوتر أن يتسلل إلى ملف المعلومات السرى الأمريكى على نحو لم يصل إليه جهاز المخابرات الروسية (كى - جى - بى)، وقد تصورت أجهزة الأمن وجود علاقة بين الشابين، واتضح أن هذا غير صحيح، وأن كل واحد فيهما يعمل دون أن يعرف بوجود الآخر.

وهكذا يسفر التقدم التكنولوجى عن آثار جانبية مرعبة، فقد كان أى شاب منهما قادرا على إشعال حرب عالمية وتدمير العالم.



طبقات وقوانين

إذا تصورنا المجتمع هرما على قمته الطبقة العليا أو الأغنياء، وتحت هذه الطبقة العليا تتحرك الطبقة الوسطى، ثم تجىء الطبقة الدنيا فى قاع المجتمع . إذا تصورنا المجتمع هكذا فما هى الحركة التى نلاحظها على هذه الطبقات.

سنلاحظ أن الطبقة الدنيا تحاول الصعود إلى الطبقة الوسطى، وسنلاحظ أن هذه الطبقة تحاول الصعود إلى الطبقة العليا.

إذا وضعنا فى الاعتبار شهوة الإنسان التى لا تحد

بحـدود للتظاهر، فسـوف نرى الطبـقة العليـا تتشـبث بمكانها، بينما الطبقـة الدنيا والوسطى تحاولان اختراق الحواجز والصعود إليها.

ويرى الفـيلسوف الأمريكـى ماكس فيـبلين أن هذه الحركـة فى المجتـمع يحكمهـا قانونان.. قـانون الفراغ الظاهر، وقانون الاستهلاك الظاهر.

يتصور فيبلين ويبنى نظريته على الفكرة التالية :

■ أن الإنســـان لا يطـلب المال لذاته، وإنما يـطلبـــه لمنافعـه.. هذه هى الصورة المثلى لطلـب المال، أما الذين يطلبونه لذاته فقلة مرضيـة لا يقاس عليها ، إن قارون مثـلا لو كان يعيش فى جـزيرة مقفرة ومـعه كل هذه الثروة، فسوف يحس أنه أبأس البؤسـاء.

أمـا حـياته فى مـجـتـمع، حـيث يرى الناس ثراءه ويتحدثون عنه، فهذا هو المطلوب الذى يرضيه.

إن الأثرياء ـ فى نظرية فيبلين ـ يطلبون المال لا من أجل المال، وإنما لكى يعرف الجميع بثرائهم.

إنهم يحـــبـون أن يعلنوا عن ثرائهـم وإن يظهـروه للناس إظهارا.

تأمل قول الحـق عن قارون : **﴿فخرج علـى قومه**

فى زينته، قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثلما أوتى قارون، إنه لذو حظ عظيم﴾.

هذا هو السبب الذى يحرك الناس للثراء.

أن يتحدث عنهم الناس ويتمنوا مكانهم، ولقد يكون الثرى فى حياته الخاصة تعيسا كل التعاسة، ولكن ما يخفف من تعاسته أنه يكون محسودا عادة حتى على تعاسته.

يتساءل الفيلسوف الأمريكى عن سبيل الأثرياء لإظهار ثروتهم.. ويرى أن هذا السبيل يأخذ طريقين : استهلاك السلع وانفاق وقت الفراغ.

واستهلاك السلع لا قيمة له إذا حدث خفية دون أن يلاحظ الناس، فلابد إذن من أن يكون هذا الاستهلاك واضحا ومنظورا ما أمكن ذلك، وأن تقوم حوله أكبر ضجة ممكنة، وكذلك القول فى التصرف فى وقت الفراغ، لا يكفى أن يتمتع الأثرياء بالفراغ، ولكن المهم أن يعرف جميع الناس أنهم يتمتعون بوقت الفراغ.

إن استهلاك القبعات العالية فى الغرب (توب - هات) وتربية الكلاب النادرة السلالة، والخصور النحيلة التى تفرضها نساء المجتمع الراقى على

أنفسهن، والحلى التى يرتدينها.. كل هذا صور من الاستهلاك الظاهر.

انظر إلى الرجل الثرى كيف يثبت ثراءه ويعرضه على الناس عرضا بالاستهلاك الواضح المنظور.. وهو لا يكتفى بما يراه الناس من استهلاكه الشخصى فتراه يحيط نفسه بحاشية تستهلك أكثر مما يستهلك هو.

وكلما زاد عدد هذه الحاشية وكثر استهلاكها فى عيون الناس قوى الدليل على ثرائه، فهناك الخدم والحشم، وهناك الشوفير والسكرتير، وهناك مدير المكتب وسكرتير المكتب.. وهناك الحارس ورجل الأمن.. وليس من الضرورى أن يكون لكل واحد من هؤلاء عمل لا سبيل للاستغناء عنه، ولكن المهم فيهم أنهم يستهلكون نيابة عن الوجيه نفسه.. أو قل إنهم وسائله فى الإعلان عن كثرة استهلاكه. ولكن المستهلك الأكبر باسم الوجيه هو بطبيعة الحال زوجته.

إن الثرى يعرض على الناس ثراءه من خلال زوجته، وما تستهلكه من الحلى وفاخر الثياب وأدوات التجميل وانيق الحفلات والرحلات.

ويرى الفليسوف الأمريكى ماكس فيبلين أنه كلما

قل نفع الشيء المستهلك ارتفعت قيمته في نظر المليونير.. يصدق هذا الكلام على زوجة الثرى وما يحيط به من حاشية.. فالغني لا يريد زوجة نافعة تطهو له طعامه وتخيط ثيابه وتمسح البلاط في داره بل إنه لا يريد زوجة تربي له أولاده، فكل هذه أشياء نافعة يمكن أن يقوم بها الطهاة والخياطون والخدم والمرضعات والمربيات.

نعم.. كلما قل نفع الزوجة ارتفعت قيمتها، بل أكثر من ذلك، كلما ازداد اسرافها واتلافها ارتفعت قيمتها، فالثرى ليس بحاجة إلى زوجة تكتفي بثوبين أو ثلاثة في كل فصل، أو لا تكترث بما بين الحلي الزائفة والثمينة من فرق، فمثل هذه الزوجة لا تجعل استهلاكه ظاهرا أو واضحا، ومثل هذه الزوجة مدعاة للبخل لا للتباهي في المجتمع.

بل إن مظاهر الإتلاف والإسراف وقلة النفع ينبغي أن تتجاوز ثياب الزوجة وأدوات زينتها إلى قوامها وتكوين جسمها، فزوجة الثرى ليست بحاجة إلى الخصر الممتلئ والأيدي القوية التي تحتاج إليها زوجة الفلاح أو العامل، لهذا السبب اصطنعت الطبقات العليا

فى المجتـمع لنفسـها مـقاييس للجـمال غيـر ما ألفـته الطبقات الأخرى.

وعندها أن المرأة لا تكون جميلة إلا إذا كـانت دقيقة الخصر دقيقة اليدين دقيقة القدمين هشة العظام ناعمة البـشرة بالطـلاء والمسـاحـيق، ولا تصلح لعـمل شـىء، ويخدشـها أى شـىء فيه أبسط غلظة.

كانت هذه بعض مـقاييس الجمال والثـراء فى القرن التاسـع عشر..

وقد تغيرت هذه المقاييس فى القرن العشرين تبعا لما أصـاب الإنتاج من تحول.



الحكم على الماضى

من الأخطاء الشائعة التى يقع فيها كثير من الناس ، الحكم على الماضى بمعايير الحاضر وقيمه..

وهذا يؤدى إلى مشكلات متزايدة فى دنيا الفهم أساسا، كما أنه فى أحيان كثيرة يؤدى إلى عدم الفهم.

كتب ويليام بفاف فى جريدة الهيرالد تريبيون مقالا يتناول هذه الفكرة الهامة.

تحت عنوان « نظرة منطقية إلى التاريخ »، قال إن الحكم على الماضى بمعايير الحاضر يثير مشكلات متزايدة فى عالم اليوم.

وبالتالى فلا يمكن أن نبرر ادانتنا لأبناء عصر آخر، على أمور لم يكونوا على علم بها، أو لأنهم تصرفوا وفق المنطق السائد فى تلك الأيام، وتحت ظروف الضغط التى كانت قائمة يومئذ.. ففى الأوقات الصعبة يهتم الناس بمصلحتهم الذاتية البدائية.. وقد يكون هذا أمراً لا يدعو للإعجاب ولكنه حقيقة كونية.

ويبدو أن الذى أثار الكاتب وليام بفاف كان تقريراً جديداً للولايات المتحدة حول ما فعلته المانيا النازية بالذهب الذى استولت عليه من اليهود ابان الحرب العالمية الثانية.

ويرى التقرير أن معظم هذا الذهب جرى ارساله بواسطة المصارف السويسرية إلى بلدان محايدة لشراء مواد خام وسلع أخرى ضرورية للمجهود الحربى الألمانى.

والبلدان المحايدة التى يشير إليها التقرير هى البرتغال واسبانيا والسويد وتركيا.. وقد بدا لى وأنا اقرأ المقال أن نشاط الصهيونية فى أمريكا يحاول كسب أكبر عدد ممكن من الدول واعتبارها مسئولة عن ذهب اليهود، والتمهيد بالتالى لمطالبتها به.. لم يقل هذا

وليم بفــاف ولكن المرء يســتـطيع بخـيـــال من النوع المتوسط أن يدرك هذه الحقيقة.

ويطرح وليام بفـاف فكرة ذكيـة تقول.. إنه فى ذلك الوقت بالتحـديد.. كانت الولايات المتحـدة متحـالفة مع ســتـاليـن، وقـامت بتـمـويل وتمـوين حـرب الاتحـاد السوفيتى ضد ألمانيا.

هل يجعلها هذا مذنبة باعتـبارها مشاركة فى جرائم ستالين الوحـشية؟ لقد كان هـدف الولايات المتحدة هو هزيمـــة ألمانيـا النــازية، وكـذلك كـــان هدف الاتحــاد السوفيتى.

ومن هنا فـقد كـان هذا التحــالف تحالفــا مصلحـيا جرت تغطيته بقدر كبـير من الدعاية الكاذبة والعاطفية فى الولايات المتـحدة التى صورت الاتحـاد السوفـيتى كنظام ديمقراطى من نوع خاص ووصفت ستالين بأنه الأب الرحيم لشعبه.

وخــلال الحـرب كـان يحكم أسـبـانيـا والبـرتغـال حكومتان يمينيتان متسلطتــان تتخذان موقفا عدائيا من الديمقراطية الليبرالية، وكان نظام فرانكو قد وصل إلى السلطة فى أسـبـانـيا بمـسـاعدة عـسـكرية من ألمانيـا

وإيطاليا.. وكانت السويد محصورة جغرافيا بين النرويج التى يحتلها الألمان والدانمرك من جهة، وفنلندا من جهة أخرى، وكانت فنلندا حليفة لألمانيا خلال الحرب، وكانت تهدف من تحالفها إلى استرداد الأراضى التى استولى عليها ستالين، وقد باع السويديون لألمانيا المعادن والحديد والأجهزة الدقيقة لأنهم لو لم يفعلوا ذلك لكانت ألمانيا قد احتلت بلادهم واخذت منها ما تشاء.

أما السويسريون فكانوا الأقل حظا من الجميع بوجودهم فى مركز أوربا محاطين تماما بألمانيا وفرنسا التى تحتلها ألمانيا وإيطاليا حليفة ألمانيا ويرى الكاتب أن بعض المصارف السويسرية تصرفت بشكل رفيع بينما تصرف البعض الآخر على نحو خسيس. وقامت الحكومة السويسرية بتقديم ما اعتبرته تنازلات حكيمة للألمان، فهل كان هناك بوسعهم سلوك طريق آخر ؟

صحيح أن هناك انتقادات مشروعة لمؤسسات وأفراد فى البلدان المحايدة خلال الحرب العالمية الثانية، ولكن إطلاق التعميمات حول «انحياز» تلك البلدان لألمانيا ينم عن جهل بحقائق الماضى..

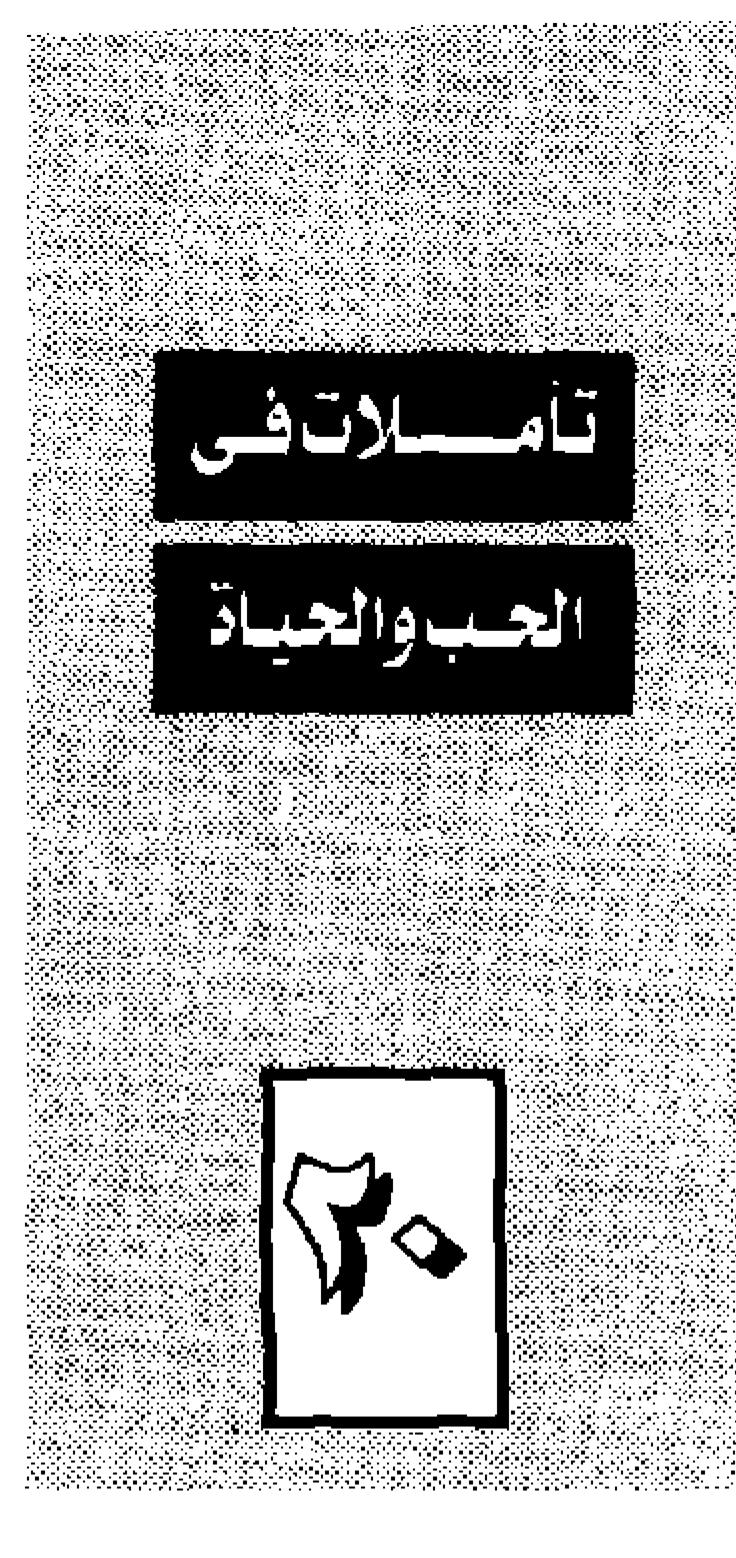
إن الماضى لا ينتهى تماما كما يتضح فى هذه القضية، ولكن محاولة اعتبار الحاضر مذنبا إلى الأبد بخصوص ما جرى فى الماضى، تمثل صرفا للانظار عن الحاضر الذى يجرى فيه ارتكاب جرائم جديدة يمكن منع وقوعها.

هل تتسم السياسة الأمريكية أو الإسرائيلية الراهنة فى الشرق الأوسط بنفس الوضوح والشجاعة الأخلاقية اللذين تطالب أمريكا بهما سويسرا والسويسريين أثناء الحرب ؟

اعتقد أن هذا السؤال فى موضعه..

وأعتقد أن الجواب هو « كلا ».

بهذه النهاية الشجاعة ينهى الكاتب مقاله.



عقــول وأشــباح

هناك عـقول تسـتـريح إليـها وتلجـأ إلى ظلالها المثمرة وأنهارها العذبة.

عـقول تشـبـه الواحـات وسط صحـراء محرقة لا ماء فيها ولا حياة.

وهناك عـقولآخـرى كـالأرض الخراب التى تحـدث عنها ت، اس، ايليوت فى قصيدته الشـهيرة.

عقـول أرضـها خرائب يسكن فـيها البـوم وتهيم فى أرجائها الاشباح والوطاويط.

ولقـد قيل فـى الأمثـال القـديمة ان الله حـين وزع الارزاق اعتقد معظم الناس انهم يستحقون أكثر.

فلما وزع العقول رضى كل واحد بعقله.

وما زلنا إلى اليوم نرى الناس لا ترضى عن رزقها المادى وإن رضيت كل الرضا عن رزقها من العقول.

هى فـتنة تـصـيب الإنســان حـين يـرضـى عن قلة مـا اكتـسبـه من معـرفة وعـلم، معـتقـدا أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ولا أفضل.

ويتـرتب على هذه المعـادلة.. ان الناس بسـبب عـدم رضائهم عن رزقهم المادى تكد وتكدح لزيادته.

وبسـبب رضـائهم عن عـقـولهم لا يحـاولون زيادة حصيلتها من الثقافة والمعرفة.. وأحيانا يبلغ بهم الرضا حد الافتتان بعقولهم.

يحدث هذا فى الـبشر.. وفى الأنظمـة الحاكـمة التى يؤول إليها حكم البشر.

إن أنصار النظـام الشمولى فى الاتحـاد السوفـيتى السابق يعتقدون ان نظريتـهم بخير.. وكل ما فى الأمر ان تطبيقها هو الذى أساء وخرج عن الخط، ولولا هذا لما تفكك النظام كله وهوى.

أما أنصـار نظام السوق الحر والـديمقراطيـة فإنهم لا يعترفون ابدا بوجود مثالب فى الرأسمالية، وبالتالى

فإنهم لا يستطيعون تفسير هذه الاشباح التى تظهر فى أسواق المال والبورصات ويترتب عليها انهيار فى الأسهم والسندات والعملة والبنوك.

ان الاكتئاب العظيم الذى وقع سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٠ فى أمريكا ظل حتى اليوم بغير تبرير مقنع.

ان النظام المصرفى يعتمد على الثقة.. وأى بنك لو اطلقت عليه اشاعت بأنه خسر مثلا فى مضاربات الذهب عدة مليارات، وأنه أصبح خاويا وبلا نقود.

هذا المصرف لو ذهب المودعون لسحب ودائعهم كلها فى يوم واحد فسوف يسقط البنك ويعلن إفلاسه.

وعامل الثقة الذى يميز النظام المصرفى ليس عاملا صلبا ولا واضح المعالم، وأحيانا تهتز الأسواق والبنوك والعملات بسبب مجئ حاكم جديد أو خروج رئيس قديم.

أى ان تقلبات السياسة تؤثر على تقلبات العملة.

واذا كان النظام الشمولى أو الاشتراكى كما شاهدنا فى تجربة الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية قد قام بتوزيع الفقر على الجميع بالتساوى فإن النظام الرأسمالى يزيد من غنى الاغنياء وفقر الفقراء، واتساع الفجوة هذا ليس فى صالح الاستقرار الاجتماعى.. لأن

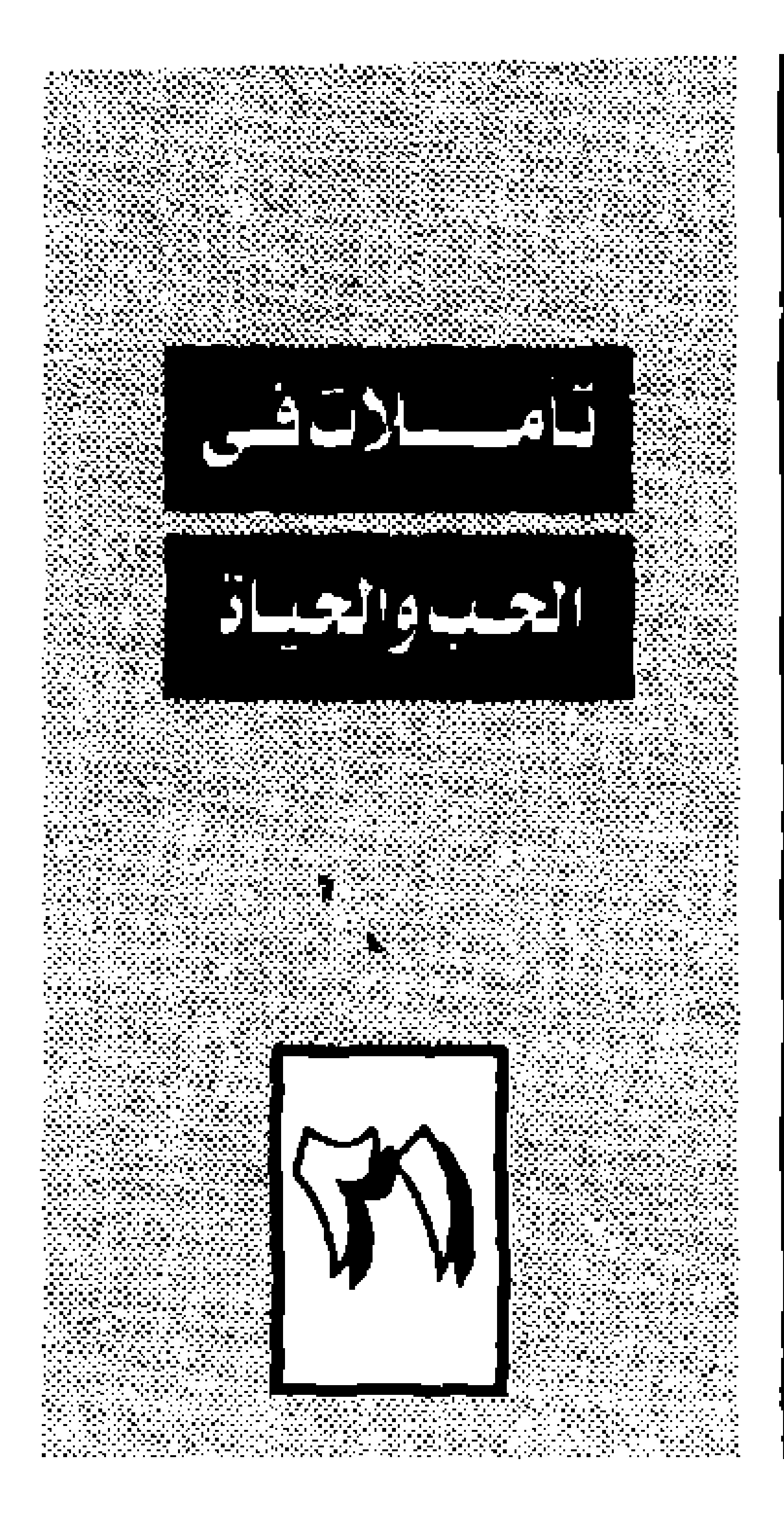
الذين لا يجدون شيئا يتحولون - رغم انفهم - طبقا لقوانين الحتمية إلى قوى مدمرة فى المجتمع.

إن أسبوعا من المظاهرات الثائرة فى اندونيسيا قد كلف هذه الدولة مليارات من الدولارات كخسائر.

لقد أشعل الفقراء - مستغلين ثورة الطلبة - النيران فى المحلات وكانوا يحملون ما فيها ويشعلون فيه النار أو يهربون به إلى بيوتهم ولقد صرنا إلى زمن أعلنت فيه الشيوعية عن افلاسها، وأخفت فيه الرأسمالية عدم قدرتها على علاج الأزمات، أما النظام الوحيد المرشح لحل مشاكل البشرية، فهو نظام يعتبره الغرب هو العدو الأول بعد انهيار الشيوعية.

والحق ان النظام الاقتصادى المقترح لم يستكمل شكله النهائى بعد، ومازال هلاميا كما ان أصحابه لا يشجعون احدا على تقليدهم أو الأخذ عنهم أو التأسى بهم.

هل يكشف العالم حلا لهذه الاحجية فى القرن القادم.. هناك من يتنبأ بسقوط الرأسمالية بعد نصف قرن، فهل يصل العالم إلى حل قبل هذا السقوط أم يظل يتخبط بعده فى الأزمات كما يفعل سكان روسيا اليوم ؟



فطرة الإنسان

هل الإنسان بطبيعته شرير أم خيِّر ؟

هل فطرة الإنسان فطرة خيرة أم فطرة شريرة ؟

كانت هذه الأسئلة محور الجدل بين مفكرى القرن الثامن عشر، ورغم أننا فى طريقنا إلى القرن الواحد والعشرين، إلا أن هذه الأسئلة مازالت تثير الجدل.

ويبدو هذا الجدل لأول وهلة أنه ينتمى إلى الدين والأخلاق، ولكن الحقيقة أنه أمر يتعلق بأساس الفكر السياسى والاجتماعى.

يقول فولتير أحد المفكرين الكبار فى القرن الثامن عشر، وأحد ملهمى الثورة الفرنسية تحت عنوان.

الإنسان.. هل ولد شريرا :

«من الثابت أن الإنسان لم يولد فاسدا، وأنه ليس ابن الشيطان كما يقول البعض، فلو أن فطرته كانت فاسدة لارتكب الجرائم المنكرة والأعمال الوحشية من طفولته قبل أن يتعلم المشى.

أما الإنسان فهو على العكس من ذلك.. وهو فى جميع بلاد العالم كالحمل الوديع فى طباعه إبان طفولته، فلماذا اذن وكيف يتحول الإنسان فى أحايين كثيرة إلى ذئب أو ثعلب.

إن تفسير ذلك أنه يولد خلوا من الخير والشر، إنما يحدد نزوعه إلى الفضيلة أو الرذيلة التعليم الذى يتعلمه، والقيم التى يؤمن بها، والحكومة التى يخضع لها..»

كان فولتير يعتقد أن الإنسان يولد بفطرة محايدة.. نفسه صفحة بيضاء يمكن أن ينقش فيها حب الخير، أو يلوثها بالنزوع إلى الشر بحسب البيئة التى ينشأ فيها.

من هنا جاء إيمان فولتير بخطورة أثر التعليم والتنوير فى كل إصلاح اجتماعى أو سياسى.

كان فولتير يواجه مدرسة من مدارس الفكر الرجعى فى زمانه، وهى مدرسة كان فلاسفتها يبشرون بمذهب يقول أنه :

- ليس فى الإمكان أبدع مما كان.

ولقد كان الفيلسوف لايبنتز من أساتذة هذه المدرسة الأخيرة.. كما يحدثنا د. لويس عوض فى كتابه « دراسات فى النظم والمذاهب».

أما خلاصة فكر هذه المدرسة فهى أن كل شىء فى الكون والحياة والمجتمع مرتب ومنظم تنظيما طبيعيا بحيث يمكن القول أن العالم الموجود هو أفضل عالم ممكن. فإذا كان فيه قصور أو شر، فإن ما يبدو قصورا أو شرا إنما هو فى الجزئيات لا فى الكليات، بل إن القصور الجزئى والشر الجزئى إنما ركبا فى الأشياء من أجل غاية سامية هى الكمال الكلى والخير الكلى، فنحن اذن نعيش فى أفضل عالم ممكن.

والواضح أن هذا المذهب لم يفرق بين الكون.. والحياة.. والمجتمع.. إن الكون محكوم بإرادة الله

ومشيئته، وكذلك الحياة.. وهنا يمكن قبول فكرة أنه ليس فى الإمكان ابدع مما كان.

أما المجتمع فمحكوم بإرادات الأفراد المتصارعة، ومحكوم بمصالحهم المعقدة، ومحكوم بقوانين القوة التى لا تعبأ بالإنسانية.. وهنا فى هذا المجال يصعب قبول هذا المذهب.

والواضح أن هذا المذهب المسرف فى التفاؤل، والذى يخلط بين الكون والمجتمع.. لم يكن - فى رأى فولتير - بالمذهب الذى يصلح لإنقاذ الحياة.. خصوصا فى مجتمع فاسد..

وغاية ما فعله هذا المذهب أنه كان يشيع لونا من ألوان الطمأنينة الزائفة والتفاؤل المسرف بين الناس، وكان هذا يجعل الناس يقبلون أوضاع الحياة الاجتماعية على علاتها.. ويقبلون بشرور المجتمع رغم كثرتها.

وكانت فكرة أننا نعيش فى ظل أفضل عالم ممكن تسد الطريق على كل دعوة لإصلاح المجتمع أو تقويمه.

ولقد تبدد التفاؤل المستقر الناعم بقيام الثورة الفرنسية، وسالت الدماء وراحت رؤوس النبلاء

والارسـتقـراطيين بل وحـتى الثوار.. راحت رؤوسـهم جميعا تنفصل عن أجسادهم وهم يقفون تحت المقصلة.

وفقد العالم إحساسه الكاذب بالأمن والاستقرار.

جـرفت الثورة الفـرنسـية مـذهب «ليس فى الإمكان أحسن مما كان» وبقى فكر فولتير قائما فى الساحة.

كانت مـعركة فـولتير معـركة إضاءة للعـقل.. وكان التسـامح وحرية الـفكر والتعـبير هـما ضمـانات رقى المعرفة وانتشار النور بين بنى البشر، ولقد اقترن اسم فولتير بالدعوة إلى التسامح واحترام رأى الآخرين..

وهو قائل الكلمة الشهيرة :

- إننى اخالفك فى آرائك، ولكننى على استعداد لأن أموت دفاعا عن حقك فى إبدائها.

تأمـــلات فى

الحـب والحياة



حـديث صـحفى

كنت جالسـا أشاهد مباراة من مـباريات المونديال ، وبينى وبينكم .. أنا لا أعـرف ما هو المونديال .

لقد سمعت الناس يتحدثون جميعا بشكل محموم عن المونديال، وخوفا من اتهامى بالرجعية والجمود قلت مـعهم ما يقولونه ، وجلست معـهم كما يجلسون لمشاهدة المباريات .

فـعلت هذا نزولا على قـول شاعـر العـربيـة أحمـد شوقى بك :

إذا الفتنـة اضـطرمت فى البــلاد

ورمـت النجــاة فـكن امَّعـــة ..

إن الإمعة هو الشخص الذى لا رأى له ولا موقف ، إنما هو مع الناس إن مالوا إلى اليمين مال ، وإن اتجهوا إلى اليسار اتجه ، وإذا وقفوا حائرين وقف تحت خيمة الحيرة .

جلست أتفرج على المباراة كما يفعل الناس .

سألتنى صحفية حديثة : هل تشاهد مباريات الكرة.

قلت لها وأنا أتوجس خفية : ولماذا لا أشاهدها ..

قالت : أى الفرق تعجبك .

قلت لها : فريق الزمالك أحيانا .. وفريق الأهلى فى أحيان أخرى .

قالت وهى تضحك : أنا أسألك عن المونديال .

قلت لها : الكرة ذوق وفن وأخلاق ، ولهذا السبب هناك أكثر من ١٠٠ فاول فى المباريات .. وقد طرد من الملاعب عشرات اللاعبين بعد أن كسروا غيرهم من منافسى الفرق الأخرى .

قالت الصحفية : يا أستاذ .. أنت تخلط حديثك عن المونديال بالحديث عن الأهلى والزمالك .

قلت لها : إن الأفضل للمرء أن يمسك العصا من وسطها فى هذا الزمن القلق .

قالت الصحفية : من الذى تشجعه فى المونديال .

هاهى كلمة المونديال تتكرر أمامى .. وأنا لا أعرف معناها ، هل أسأل عنها الصحفية التى توجه إلى أسئلتها أم أتظاهر بالفهم .

رجحت جانب السلامة وتظاهرت بالفهم .

قلت لهم : المونديال هو المونديال .. هذه كلمة جامعة مانعة قالها سقراط بعد أن قال كلمته ـ أعرف نفسك .

قالت الصحفية : كلامك عميق يا أستاذ .. منذ متى وأنت تهتم بكرة القدم .

قلت لهم : كان والدى يرحمه الله زملكاويا .. وجاء أحد أبنائى أهلاويا .. أما أنا فقد اخترت ـ لبعد نظرى ـ ناديا لم ينشأ بعد .. وهكذا أصبحت زمهلاويا .. وهذا النادى الجديد هو مزيج من الأهلى والزمالك .

أوقل هذا بسبب قرب دخولنا على القرن الحادى والعشرين ، إن هذا القرن الجديد يميل إلى التكتلات والاتحاد ، إن أوربا توحد عملتها النقدية ، وأمريكا تريد ربط العالم بذيلها ، وسوف نواجه فى مصر مشكلة هذه النوادى الصغيرة الكثيرة ، وأغلب الظن أن

هذه النوادى سوف تتوحد معا فى ناد جديد .. هم الزمهلاوية وبهذه الخطوة نحقق أهم تقدم فى القرن الحادى والعشرين .

قالت الصحفية : لماذا يفرح الناس حين تدخل الكرة فى شباك الخصم .

قلت لهم : هى قلة عقل .. إن الفرح فى مثل هذا الموضع يجب أن يستند على الحكمة التى تقول « اللهم اجعله خيرا » .. فمن يدرى .. ربما أعقب هذا الفرح حزن مقيم بسبب اختراق شباكنا نحن ، والأفضل إذن ألا نفرح .

قالت الصحفية : ما هى فلسفتك فى الكرة ، بوصفك أحد المشجعين للمونديال .

قلت : هناك فلسفات كثيرة فى الكرة ، وقد حرت أى فلسفة إنحاز إليها ، وأخيرا اخترت الفلسفة التى تقول « يا بخت من بات مغلوب ولا باتش غالب » .

قالت الصحفية : ما الذى تعبر عنه هذه الفلسفة .

قلت لها : هذه الفلسفة تنبع من الشعوب الطيبة المسالمة التى تفضل السلام والهزيمة بغير جراح وتكسير ، على النصر الذى يؤدى إلى كسر قدم أو ساق أو رقبة .

قالت الصحفية : ما هو رأيك فى الفرق التى انهزمت وكان الظن أن تنتصر .

قلت لها : فى صراع الشعوب والكرة تنهزم الشعوب المتحضرة عادة لأنها لا تحب العنف ، ولا تلجأ إليه إلا مضطرة ، ولا تستخدم أسلحة الدمار الشامل ، أما الشعوب البربرية فهى تريد النصر ولو صنعت أهرامات من الجماجم .. والفرق الكروية كالشعوب ، فيها من يصنع السلام والحضارة ، ومن يفضل الحرابة والعنف .

قالت الصحفية : نشكرك على هذا الحديث الذى أضاء القضية وجلا غوامضها .

قلت لها: لا شكر على واجب .

الوقت

الوقت من أعجب المخلوقات التى خلقها الله سبحانه وتعالى.. والزمان هو الآخر مخلوق يشبه الطلسم، وقد فشلت كل المحاولات فى مجابهته أو وقف آثاره أو اخفاء تجاعيده فى الوجه أو قدرة الجسم بشكل عام.

والوقت يمر مرا هينا فلا يكاد يلحظ مروره أحد.. ولكن مجرد هذا المرور يغير أشياء كثيرة فى الدنيا وفى الإنسان.

وهناك فرق فلسفى بين الوقت فى مجتمع صناعى يقف فيه الإنسان أما الآلة، والوقت فى مجتمع زراعى يرمى فيه الفلاح بذوره فى الحقل ثم ينعس تحت شجرة التوت ساعتين أو ثلاثة..

فى المجتمع الصناعى لـو نعس العامل أمام الآلة ثلاث دقائق فسوف يضطرب العمل فى المصنع كله.

أمـا نعاس الفـلاح فى حقـله يوما أو بعض يوم فـلا خطر منه ولا تأثير له على المحصول..

من هنا كان ايقـاع الوقت والإحسـاس به يختلف فى المجتمع الصناعى عن المجتمع الزراعى.

إن الوقت يجرى فى المجـتمع الصناعى، ولكنه يزحف كالسلحفاة فى المجتمع الزراعى.

والتـأخـيـر فى المجـتـمع الصنـاعى يؤدى إلى نقص الإنتاج وهبوط الدخل.. أما التـأخير فى المجتمع الزراعى فلا بأس به ولا ضرر فيه.

من هنا يقول المثل العامى المصرى «كل تأخيرة وفيها خيـرة» وهذا المثل العربى لا وجود له فى لغـات الغرب الصناعى.

وقـد انتقـل هذا الإحسـاس بالوقت فى المجـتـمعـات الزراعية من الفلاحين إلى موظفى الدواوين الحكومية.

فى المجتمـعات الصناعية يطلق على المـوظف العمومى لفظ الخادم العـمومى civil servant ، أما فى المجـتمـعات الزراعية، فـإن الموظف العمومى يمكن أن يسـمى السيد الأعلى الذى يخـضع له المواطنون بوصفـه ممثل الإدارة الفرعـونية والمتـحدث الرسمـى باسمهـا وبهذه الصـفة

الأخيـرة ، يحتل الموظف فى نسيج المجـتمعات الزراعـية مكانة لا يحتلها زميله فى المجتمعات الصناعية .

فى هذه المجتمعات الأخـيرة .. ينظر الناس بإكبار إلى العامل الفنى أو المهندس الفنى أو الخبير المتخصص .

أما فى مـجتـمعاتنا فـالإكبـار والتبجـيل والاحتـرام كلها للموظف، وهذه المـكانة ترتبت من أيام الملك الإله .. وهو ملك كان يمد شعاع جلاله على الموظفين الذين يمثلون نظامه.

والوقت عند هؤلاء الموظفين ليس له نهاية ..

إن التسويف والتـأجيل والتمديد سياسة جـرت عليها دوائر الدواوين منذ أقـدم العـصـور .إن الموظف يجلس وراء مكتبـه كما يجلس رمـسيس الثانى أمام عـرشه .. وأى مشكله تعرض على الفرعون تـستوجب منه التفكير واتـخاذ قرار سريع .

والتفكير ضار بالهضم والصحة ، والقرار يحتاج إلى حشـد جهـود العقل والبحث عن أفـضل الحلول .. وهذا كله يستـوجب من الفرعون جهـدا زائدا ، والأفضل إذن أن يؤجل الفرعون القضية برمتها إلى الغد .

من يدرى .. لـعل الغــد يحــمل جــديدا يحل المشـكلة أو يجـعلها غـير ذات مـوضوع .. وهكذا يصــدر الفرعـون قراره بتـأجيل المشكلة إلى الغـد ، وكذلك يفـعل جيـشه من الموظفين .

إنهم يؤجلون المشاكل إلى الغد ، عارفين أن الغد كلمة لا تنتــهى أبدا ولا تنـفد ، فـلكل يوم غـده ، ولا نهـاية للأيام وبالتالى فلا نهاية للغد .

أين تذهب مصالح المواطنين ؟

ماذا يفعل ذوو الحاجات ؟

إنهم ينتظرون إلى الغـد .. هذه الكلمة السـحرية التى تبدو كوعاء لا يفرغ أبدا .

ماذا عن الساعات الضائعة فى انتظار الغد ؟

هذه السـاعـات الضـائعـة يحـسـبـونهـا فى الغـرب ويخـصـمـونهـا من الدخل العـام ، أما فـى الشرق فـلا حساب لشىء ، وبالتالى فلا خطر ولا انزعاج من شىء.

إن قضــية العالم النامى الذى يـسمونه العـالم الثالث تكمن أســاســا فى الإدارة . والبـيروقـراطيـة ، وسلطة مـوظفى الدواوين .. نحن أمام إدارة لا إحـساس لديهـا بالوقت ، وبالتالى فلا إدراك عندها للتقدم .

ولسوف تذهب كل محاولات التنمية كحرث فى البحر مادامت الإدارة على حالها .

رقم الإيداع ٥٤١٢/٩٩
الترقيم الدولى
I. S. B. N.
977 - 08 - 0815 - 6



هذا الكتاب

فى هذا الكتاب يحاول أحمد بهجت أن يضع عددا من مشاكلنا الاجتماعية والنفسية تحت المجهر لنعرفها .. مثلا ما هو الفرق بين الغنى والفقير ..؟!.. وما هو أسلوب حياة كل منهما..؟!.. وما هى نظرة الرجل والمرأة للحب وللزواج ..؟!.. ما الفرق بين الرجل «الروميو» والرجل «الدون چوان»..؟!.. وهل الإنسان بطبيعته شرير أم خير..؟!.. وما هى قيمة العمل فى حياتنا ؟!.. والفرق بين الطاولة باعتبارها أسلوب حياة الشرق والشطرنج التى تعبر عن حياة الغرب ..؟!

عشرات من الموضوعات تفتح عيوننا وعقولنا وترشدنا إلى الفكر الصحيح لفهم الحياة وأسرار النفس البشرية.

نبيل أباظة

٥ جنيهات

طبع بمطابع أخبار اليوم